القياس وهو تعدية [illegible]
الى الفرع بعلة متحدة [illegible]
[illegible] وفي اللغة التقدير وفي الشرع
مساواة فرع للاصل في علة حكمه

I

وقف
عثمان حلمي المرحوم
طوران

سورة مريم ١ سورة طه ٢ سورة انبياء ٣ سورة حج ٤ سورة مؤمنين ٥ سورة فرقان ٦ سورة نور

سورة شعراء ٧ سورة نمل ٨ سورة قصص ٩ سورة عنكبوت ١٠ سورة روم ١١ سورة لقمان

وقف ...

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني

تفسير كشاف

عن علي رضي الله عنه هو له عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعنه ان ابن
الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال
يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم
القيامة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن وقيل لا نقيم لهم ميزانا
لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين فلا يقيم لهم ... ثبا
فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع
على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم
او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم حولا التحول
يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى
تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان
في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي
التحول وتأكيد الخلود مدادا اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به
السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت
كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد
قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة
ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به
وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما
يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجوا لقاء ربه
فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن
كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله
وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن
زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني
فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر
واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن
قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه عليه من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان
كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يستيقظ

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر برحمتك

هي بفتح الها وكسر اليا حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن.
ذكر رحمت ربك اى هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرى
وذكر على الامر راعى سنة الله في اخفا دعوته لان الجهر والاخفا عند الله
سيان فكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص وعن الحسن
ندا لا ريا فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة
او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جا في
صفة الشيخ صوته خافت وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلم
فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وثمانون قرى وهن بالحركات
الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى و
كان ما وراه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان
هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه
الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن
كلها وادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في
بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ
باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان
الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفا
بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة
توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال
انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته
كانوا مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على
الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه
صالحا يقتدى به في احيا الدين ويرتسم مراسمه فيه من وراي بعد موتي
وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى

ولكن

ولكن لمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من بعدي
وسوء خلافتهم من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان
ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهو على
معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي
اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم
بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا
قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك [illegible] وليا
مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني
كان او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني
ويرث الجزم جواب الدعا والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني وعن ابن عباس
والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري اويرث على تصغير وارث
وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب
اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع
والعلم لان الانبيا لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض
لا للتعدية لان آل يعقوب ليسوا كلهم انبيا ولا علما وكان زكريا عليه
السلم من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل
يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود سميا لم
يسم احد قبله بهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه واثره عن النبز
حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض
بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج
فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا
وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل
والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمايهم

يعمر ويعيش اذ كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت
ابن المزرع قال العالم لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه
ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اجيبوا لانه شاب وجهل
فما رزقته الولد لاختصاص السببين بخبر احتمال السببين جميعا ارزقه
قال قال لم طلب اولا وهو وامراته على صفة الحق والعقر فلما اسعف
بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون ولا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج
واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في
المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا
وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وقرا ابن مسعود
بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع اي الامر
كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هؤلاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا على الوجه
الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه اخر وهو
ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في
كلتي القراءتين اي قال هو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب
والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا
يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا
وقرا الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي علامة اعلم بها
وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع من الكلام فلا تطيقه وانت سليم
الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والايام
في العمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن اذ كان
عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا

صلوا او على الظاهر وان هي المسيرة اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق
والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحكم
وهو الفهم للتورية والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان
الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك عن معمر وقيل
النبوة لان الله تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه وحنانا رحمة لابويه وغيرهما
وتعطفا وشفقة وانشد سيبويه . وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب
ام انت بالحي عارف . وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح
واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم
على سبيل الاستعارة وزكاة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على
الناس ويتصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة
انها اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة
على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه
القصة العجيبة فيها انتبذت اعتزلت وانفردت وتخلت للعبادة في
مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل
قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان
موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد
فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر
سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي
الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا
لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها
انها تعوذت من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها
وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب منفرد
على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة
في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء
الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف

من جانب بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم
مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه او سماه الله روحه
على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة
روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله
الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اراد
ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة
به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي لاهب لك انا رسول
من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع
وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية
لقوله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله
من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها
وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة
التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في اليا وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان
نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس
فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية ونحوه وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا
في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقيا بان يكون ويقضى
لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة
الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة
والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمانت الى قوله
فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت
مدة الحمل ستة اشهر وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل
ثمانيه

ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته
في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن
ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وهي بنت ثلث عشرة
سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا
ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله
تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقد كانت سميت لابن عم لها اسمه
يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض
الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها
فتركها اجا منقول من جا الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك
لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث
لم تستعمل الا في الاعطا ولم تقل اتيت المكان وآتانيه فلان قرا ابن كثير في رواية
المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس
لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتا والتعريف لا يخلو اما ان يكون
من تعريف الاسما الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحرا كان فيها
جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذاك دون غيره
من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان
الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفسا الموا
فقة لها ولان النخلة اقل شي صبرا على البرد وثمارها انما هي من جمارها فلموافقتها
لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها والجاها اليها قرئ مت بالضم والكسر
يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث
ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم
وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشي اليسير

نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه
أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما
لحقها من الحياء والتشوّر من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو
لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به
من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه
الأقدام إلا أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب
التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه أو لخوفها
على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص نسيا
بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز
أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ
بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه أهله لقلته ونزارته وقرأ الأعمش
منسيا بالكسر على الإتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها جبريل عليه السلام قيل كان
يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل
من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح
بها لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير
الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها
من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال الجدول النهر وقال
لبيد فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو
والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فإن قلت ما كان حزنها
لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية
بهما من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان
الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قذفوها به
بمعزل وأن لها أمورا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا
حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها تساقط فيه
تسع قراءات بإدغام التاء وتتساقط بإظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية

تساقط

وتساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع
ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه
بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله ولا تلقوا
بأيديكم أو على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي
قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من
العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل
إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا
بكسر الجيم للإتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما
الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى
قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي
وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ترئن بالهمز
ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق
وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال صوما صمتا وفي مصحف
عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا
يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا
تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى
صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة
مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن
أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم
بالإشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق إنسيا أي أكلم الملائكة دون
الإنس فريا البديع وهو من فري الجلد هارون كان أخاها من
أبيها من أمثل بني إسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هارون النبي وكانت من أعقابه
في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة أو أكثر وعن السدي كانت

من اولاده وانما قيل اخت هارون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا
منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا
مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون
الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه
فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك
امرا سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه
اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق
فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى
تكلم عيسى عليه السلام فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم
اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن
السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا
من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم
بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون
الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة
والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال
ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من
الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في صباه اكمل الله
عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في
قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله
عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير رمز عن ابي سهيل جعل
ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني
بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل ادخال لام التعريف لتعرفه بالذكر

اي الطريق المبارك

قبله كقوله جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه
الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا
باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وحقيقته ان اللام
للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم
ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب
وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض
قرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله
وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق
والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه
على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح
ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات
والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله
وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة
اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى
ويحتمل اذا اريد بقول عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون
بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق
يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون
قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرا علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق
الذي كان الناس فيه يمترون كذبت النصارى دلالة على انتفاء
الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من
المحال الغير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك
بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان
الوالد والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف
شبه ذلك بامر الامير المطاع اذا ورد على المامور الممتثل قرا المدنيون

الحق

اي يتشاكون ويتدارؤن

مجاز

وابو عمرو ويفتح ان بمعنا ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدا والاستئناف وابو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي
ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب اليهود
والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية
ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة
عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول
يوم الحساب والجزاء في يوم القيمة او مكان الشهود فيه وهو الموقف او من
وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى
بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منها
بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين
موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر
والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش
والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة
متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق
بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين [illegible]
تجيئهم وتخرب ديارهم وانه تفنى اجسادهم وتفنى الارض ويذهب بها
الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد
فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله
وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا
لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق

المرسلين

المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق
الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا
بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم
الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا
لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات
والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلوه على الناس
ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وجل
هو ذاكره ومورده في تنزيله يا ابت التاء عوض من ياء الاضافة ولا
يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف
بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه عوض عن
الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا
فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ
عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غاية كيف رتب الكلام معه
في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف
والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك
بنصيحة ربه عز وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو
مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه
اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك
انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه
وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله
للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم
وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله
تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر

بعد إذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له
غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي
منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علوا كبيرا أن
تكون هذه الصفة لغيره لم تكن إلا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا ٥
وخروجا عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته
إلى جماد ليس له به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك
عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغني عنك بأن
تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته
إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم
الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم
الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير
وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم
ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على
ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدو لك الذي
لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك جنسك كلهم
هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت
النظر عابد الشيطان إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص
ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص
منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته
لآدم ولذريته كأن النظر في عظم ما ارتكبه ذلك العصيان غمر فكره وأطبق
على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة
والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له
وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف
والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه
وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه

وهو مستفاد من قوله من العلم

آدم وأبنائه

من العصيان والاستكبار

وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر
ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة لرضوان الله
أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع
بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز
أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير
منوي كقولك ليس به استماع ولا إبصار وشيئا يحتمل وجهين أحدهما
أن يكون في موضع المصدر أي شيئا من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه من الفعلين
السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك ثم
لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم
مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات
أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم
لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار
لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك
من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه
الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة
وأصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب
عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح ويقال
فلان ملي بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به فإن قلت علام عطف واهجرني
قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني
واهجرني لئلا أرجمنك سلام عليك سلام توديع ٥
ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز
متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له

ألا ترى أنه وعده الاستغفار فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر للكافر
وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر
والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير
بالصلوة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له
بقوله واغفر لأبي إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا
بقوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه
ولقائل أن يقول الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما
القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به
قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى
إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن
مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه
فالواعد هو إبراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي إلا عن قوله لأستغفرن
لك ويشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم حفيا لطيفا بليغا في
البر والإلطاف حفي به وتحفى به إذا بالغ أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام
المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام
الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون
ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم
بدعاء آلهتهم في قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله
في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله أحد ترك الكفار
الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء من رحمتنا هي النبوة
عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي
أوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر
باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال إني أتتني لسان لا أسر بها يريد
الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل
لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان

كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم حنيفا ثم أوحينا إليك
أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم
كما أعلى ذكره وأثنى عليه كما أعلى ذكره وأثنى عليه المخلص بالكسر
الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله
وبالفتح الذي أخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي
ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع الأيمن من اليمين
أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو الجانب شبهه بمن قربه
بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية
قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا كما في قوله
ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان
كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت
الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر
إسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء
تشريفا له وإكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحبا له أن
ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على
الذبح فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين كان يبدأ بأهله
في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر
الناس وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم
وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى
وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين في عداد
أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب
والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك إدريس
لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلا
من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا

كامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون
ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرائل كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم
يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس
في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي
شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثين صحيفة وهو اول من
خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا
يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه الله رفع الى السماء الرابعة وعن
ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة
وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشعر الذي اخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اشارة
الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين
للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم معفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض
وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية
من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذريه ابرهيم وموسى وهرون
وزكريا ويحيى من ذريه اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا
يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا
تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكي
يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك
كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي هذه القراءة يا صالح فاين البكاء
وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران

نزل بالحزن

باسرائل ؏
اللهم ؏
اولئك ؏
ساجد ؏
يا صالح ؏

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا

١٥

نزل بالحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق
باياتها فان قرا اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان
قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة
اياتك خلفه اذا اعقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب الشر
خلف بالسكون وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس
رضي الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح
الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوا بالتاخير وينصر الاول قوله
الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات
من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة
وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل
خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون قرى
يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف
لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا
بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة
على جنات عدن ابدلت منها لقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن
معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه
اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم
لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل
من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن
بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون لا
يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل

فتحازنوا
عف

والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك أتى اليه احسانا اي كان
وعده مفعولا لا يسمعون فيها لغوا فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر
على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها
وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل
والخوض فيما لا يعنينا الا سلاما اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا
فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على
الاستثناء المنقطع لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار
السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول
الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل
متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا
المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول
انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين
نورث وقرئ نورّث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث
ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية
وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال
من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل
حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه
وسلم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه
فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل
جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت
اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست
وانزل الله هذه الآية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل
ومعنى

ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء
يصوب لانه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا
الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس
الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات
والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان
الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا
رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما
نستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما
مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد
فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والا
رض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة
فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه
وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي
ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك
الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا
بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف
في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان
ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة
على ذي ملكوت السماوات والارض وما بينهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من
المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن
ابن مسعود الا بقول ربك ويجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البغي رب السموات
والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات

والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات
والارض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم ⊙ وعلى هذا الوجه يجوز
ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان
قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة
جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك
من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن
ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس
الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون
لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن
غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على
الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا
معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض
الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير
قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح
اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم
وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد
⊙ فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير
بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل
اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور
فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة
في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا
فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه
الا

الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو
من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج
حيا نادرا على سبيل الهزء وعن الحسن وابي حيوة لسوف اخرج وعن طلحة
بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود وليخرجك وتقديم الظرف وايلاؤه
حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء
انكارهم ومن هذا قولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسأت
اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف
عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر
الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والا
عراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار
الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا
من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها
وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية
وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله
ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة
سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى
احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر
بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر
من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه
تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب
السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي
بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان

الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على الإطلاق فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين
قلت إذا حشر الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة. فإن قلت هلا عزل السعداء عن
الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في
المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء
الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا
إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم. فإن قلت ما معنى إحضارهم
جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يعتلون من المحشر
إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم
غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى
وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات
من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبى
خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها
القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم
يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف
متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب.
المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا
من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز
من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا
طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين
هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية
هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم
أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم
بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم

زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع
أثقالهم واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره
لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط
صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن
يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن
بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد
بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء. فإن قلت
بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه قلت هما للبيان
لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولك
هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا. وإن منكم التفات إلى الإنسان يعضده
قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور
فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها
المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة وروي
وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن
هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على
إبراهيم حتى أن للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط
لأن الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله
ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه
وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه
السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن
يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين. الحتم مصدر

حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي
كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون
غيره ثم ننجي وننجي وينجي على مالم يسم فاعله ان اريد الحسن بالورود
فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون
الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة
ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك
وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان
المومنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم
جاثين بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما
محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين الرسول
قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا موكدة كقوله وهو الحق مصدقا
لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا يريد ان اسمعوا الحجج البينات طفقوا المومنين
بذلك ويواجهونهم به وانهم يفتخرون به لاحلمهم وفي مصافهم كقوله تعالى
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير
مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث
ينتدون والمعنى انهم اذا اسمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المومنين
بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل
والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء
المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها
اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم
يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن
لك

لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد
من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي ه تقادم العهد
من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ه وري على خمسة اوجه
رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا على القلب كقولهم
راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو
النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه
ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة
قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى
احسن من هؤلاء فليمدد اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ
الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع
معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الاية وجهان
احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون
يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود
راى عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم
قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة
وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر
على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن
نديا وان المومنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين
في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم
وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم
من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها حتى هذه

ما هي قلت هي التي تحكي بعدها الجمل الاربع الجملة الشرطية واقعة بعدها
وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا
في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس
الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد
معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
مدّ او يمدّ له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين
هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي خير ثوابا من مفاخرات الكفار
وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد
وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم
ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا
راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا
وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار
فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت
هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء في برده لما كانت
مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها
استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب
كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك
اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع الثنية
قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك
الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول اوقد
بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار
والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين
الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك

وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد
كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة
الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو به ما يقول وعن
الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد
بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه
دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت
جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا
فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة
وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على
الخطا اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت
كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير
قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان
احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان
المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به
الزمان واستاخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له
من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون
او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل
عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر
وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما
يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى
مسمى ما يقول [illegible] المال والولد يقول الرجل انا املك كذا
فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا
مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم

ومن يتألَّ على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه
اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام
حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل
له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف
ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم
نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووبال سؤله وفقد المطموع فيه وفردا
على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في
اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار
لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني
كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا
ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف
عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة سيجحدون اي
عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال
الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي
ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد
ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه
كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون
يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك
وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله
عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط

وهو ان يكون المراد بالآية ان الكافر تصور في نفسه وتمنى ان يكون له مال وولد فمعناه يأتينا يوم القيامة مجردا عما تمنى ان يكون له من المال والولد

اي جزمت زيدا مررت بغلامه

او للمشركين لا معلل ومعمول على تدبير المتقدم

تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب
جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى
المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا
يعبدونها الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة
الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي حكى فيها العتاة المردة من
الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين
من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع
الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل
عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم
وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام
محصورة وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد
فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قرأها
بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد
دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا
كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد نصب يوم
بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف
او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين
بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم عندهم
وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق
رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم

يقول العرب الناس عليكم اي اعداء لكم

ابن السماك واعظ الكوفة كان في مجلسه معروف الكرخي

يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الما
والورد العطاش لان من يرد الما لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير
الى الما قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما فسمي به
الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في يملكون
ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على
هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث
والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او
على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة
من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار
بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومسا عند الله عهدا
قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات والا
رض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي
تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك
عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه
بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين
لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة
الماذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشا ويرضى ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم
علي ادا تكاد قراة الكسائي ونافع بالياء وقرئ يتفطرن الانفطار

من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا
ابن مسعود يتصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد
فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال
ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما
ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند
وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني
لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني
ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في
الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات
ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق
وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى
الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض
لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا
بدلا من الها في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده
لضن بالما حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل
اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن ومرفوعا
بانه فاعل هدا اي هدها دعا الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل
ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم
كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك
عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن
استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر
على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له
ولدا او من دعى بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلم من ادعى

الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب ه اي لا ننتسب اليه ه
انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه
محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها
واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة
وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره ه وقرا ابن مسعود
وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصا الحصر والضبط
يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة
وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان
الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا
له في عبادته كما يخدم الناس ابنا الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله
الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من
معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو ياتي
الرحمن اي ياوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا
خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما
يدعيه له هولاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم
متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل
امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل
واحد منهم ياتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هولاء المشركين احد
وهم برآء منهم قرا جناح ابن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في
القلوب مودة من غير تودد منهم او مداناة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع
منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب
اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين
لان السورة مكية وكان المومنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله

ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه
بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا
واجعل لي في صدور المومنين مودة فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس يعني
يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل
السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض
وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة
السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه
بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه
لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في كل
لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله
وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به
ومنه الحواس والمحسوسات وقرئ تسمع مضارع اسمعت
والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم
اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم
وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس
وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله ه

سورة طه مكية وهي مايه وثلثون واربع ايات ه

بسم الله الرحمن الرحيم ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها
وامال الها وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن
الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في
تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا
فقلبت همزته ها او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر

والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على
المسميين والله أعلم بصحة ما يقال إن طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا
تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا
فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ه إن السفاهة
طاها في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين ه والأقوال الثلاثة في الفواتح
أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها
الألباء المتقنون ه ما أنزلنا إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق
ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها
وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون
جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك
عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء
يجيء في معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر أي
ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط
في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له إنك
تشقى لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو
السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وروي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له
جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من
لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس
لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز
قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فإن قلت أما يجوز أن تقول
ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها
نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي
كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها

فإن قلت هل يجوز أن تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين
ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى
إنا أنزلنا إليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام
ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا
المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا
ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن علم الله منه أنه يبدل بالكفر
إيمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل
حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا
وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب
على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة
لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على
خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم
لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون
متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له فإن
قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب قلت غير واحدة
منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها
أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا
ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات
العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا
حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ووصف السموات بالعلى
دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها وقرئ الرحمن
مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على
تقدير هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق فإن قلت
الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح
قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك

وانه عن بتع الرحمن خبرين لمبتدا ولما كان الاستوا على العرش وهو سرير الملك
مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون
ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته
ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان
فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى
ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة
لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا
بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم
البيان مسيرة اعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن
السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى
من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما
ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم
ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك
فان قلت كيف طابق الجزا الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر الله من
دعا او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما
تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر الحسنى تانيث
الاحسن وصفت بها الاسما لان حكمها حكم المونث كقولك الجماعة الحسنى
ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماوه في الحسن
ساير الاسما دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال
التي هي النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل
اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد حتى ينال
عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث
او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا

عليهما السلم

عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد
زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الا
يناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي
والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد
منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم
ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما
على الرجا والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن
الوفا به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة
لما يقتبس فيه من شقفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعون
بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة
بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى
او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلا على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق
بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما
وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي
فقيل يا موسى او لان الندا ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير
في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فان ابليس وسوس اليه لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات
الست واسمعه بجميع اعضايي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضرا من اسفلها
الى اعلاها كانها نار بيضا تتقد وسمع تسبيح الملايكة وراى نورا عظيما فخاف
وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا
او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما

ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دبت منه ثم كلم فقيل اخلع النعلين
لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي
بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين
ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا
تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها
وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف بتاويل
المكان والبقعة وقيل طوى مرتين نحو ثنى اي نودي ندائين او قدس الوادي
كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى
للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان
ذكري ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن
مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص
ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لي ذاكرا
غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم
وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري
وهي مواقيت الصلوة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام
مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى
يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه
السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان
يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل
له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او يقدر حذف المضاف لذكر
صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله تعالى عز وجل في الحقيقة وقرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم للذكرى اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط
ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما
اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف

ومحذوف

ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها
من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي
الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها
كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت
امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد واكاد
اخفيها يحتمل المعنيين لتجزى متعلق باتية بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك
عنها عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلاة فان قلت العبارة
لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث
او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه
وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر
السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل
في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك
هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته
اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب وكانه قيل فكن شديد الشكيمة
صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت
عليه يعني ان من لا يؤمن بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا
هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم
ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم
فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث
عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى
مع التقليد واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال
بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله
ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة
وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه
وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول

ثم هي تقول له ذبره من خدبك ثم تركك بعد ايام لترى ما سترد اتقول لك هي تلك
الذبرة صيّرتها ما ترى الي ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد وقرا ابن ابي
اسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ اراد وما كسرها قبل يا المتكلم فلم يجدوا
عليه فقلبوا الالف الي اخت الكسرة وقرا الحسن عصايِ بكسر اليا لالتقا الساكنين
وهو مثل قراة حمزة بمصرخيّ وعن ابي اسحق سكون اليا اتوكا
عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة
هش الورق خبطه اي اخبطه على روس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد
اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نجب وسيلا دفع والحمد لله من غير
شبع سمعته من غير واحد من العرب ونجب واد قريب من الطايف كثير السدر
وفي قراه النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته
شته وعن عكرمه اهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر
الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما
يعقب هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع
الا منافع بنات جنسها كما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض
الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق
الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على
عقب ذلك الاية العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة
الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها
وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله
عن تلك المارب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا
اسم العصا نبعة وقيل في المارب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال
الغصن جاه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على
عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل
واذا قصر رشاه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها
من

مطابقا للغرض الذي فهمه

من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاه دلوا
وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة
ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه
ويركزها فينبع الما فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام فالسعي المشي بسرعة
وخفة حركة فان قلت لم ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان
قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما
الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق
وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء
دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها
وبالثعبان مالها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان
والدليل عليه قوله فلما راها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف
الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب الهايل
ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس
انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع خاف ونفر وعن بعضهم انما
خافها لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه
وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت
الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد
منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء
فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا
بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم
ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا
ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة
سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المارب التي عرفتها

قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه
والاصل المستعار منه جناحا الطاير سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران
والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح
في كل شي فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة
صاحب الزبا ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شي الى العرب وبهم
عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا
ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القران واد[illegible]
انه كان ادم فاخرج يده من مدرعته بيضا لها شعاع كشعاع الشمس تغشي
البصر بيضا واية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضا كما تقول ابيضت
من غير سوء وفي نصب اية وجه اخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك
وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي
خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها من آياتنا بعض آياتنا
الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك
لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما
وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح
فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل
ما عسى يرد عليه من الشدايد التي تذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر
وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه
وما يصحبها من مزاولة معاظم الشوون ومقاساة جلايل الخطوب فان قلت
لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه
مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح
والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على
الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل
عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت
وان

وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال
الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها
مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في
زوال العقدة بكمالها فقيل ذهب بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني
لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما
رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى عليه السلم
وقيل زالت لقوله قد اوتيت سولك وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل
عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب
الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد
لساني الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومونه او من الوزر لان
الملك يعتصم برايه ويلجي اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي
قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جا
في معنى مفاعل مجيا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق
ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشي على نظيره ليس بعزيز ونظرا
الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما
على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير
واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن
وقروا جميعا اشدد واشركه على الدعا وابن عامر وحده اشدد واشركه
على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في
امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على
الابتدا واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة وازره قواه اي اجعله
شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه
مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا
وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني
سنا وافصح لسانا السول الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز

والأكثر بمعنى ما كان الوحي إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله
تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين أو يبعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم
أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه أو يلهمها كقوله وأوحى ربك إلى النحل أي
أوحينا إليها أمرا لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة
دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به أي هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله
يحق بأن يوحى أن هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول القذف يستعمل بمعنى الإلقاء
والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال
رماه الله بالحسن يافعا أي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة
إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه
من تنافر النظم فإن قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى
إلى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف
التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن
والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر لما كانت
مشيئة الله وإرادته أن لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وإلقاءه إليه
سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع
الأمر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي أنها جعلت في التابوت
قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان
يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة
مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها
فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن
البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذف به
فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر
فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة مني لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون
المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف
هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب

وزرعتها

وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روي أنه كان على وجهه
مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى ويحسن
إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به وتقول
للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع
معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله
أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها
والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك
وتصرفك على عين مني العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون
بدلا من إذ أوحينا فإن قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان
قلت كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل
لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها
وأنت في آخرها يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة
فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية استوهبته
من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي
الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب
القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله باستغفاره حين
قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينتقب منه الظفر به
حين هاجر به إلى مدين فتونا يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدي
كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء
التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل
سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد
محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته
أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل

فهذه فتنة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكلما يشق على الانسان
وكلما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على
ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين
سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سنين في قضائي قدرته لان
اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على
ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى
فيه الى الانبيا وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من
التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع
خصال فيه وخصائص اهلا لان لا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف
محلا فيصطفيه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع
الا بعينيه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا [...] ضميره الولي الفتور
والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا
ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به
مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا
يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر
يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها وكان
جديرا بان يقع عليه اسم الذكر روي ان الله عز وجل اوحى الى هرون
عليه السلام وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم
ذلك وقرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانها ظاهرة الاستفهام والمشورة
وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا
ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته
وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى
ولما ثبت له من حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو
العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما

وباشروا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو
يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه
لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة
من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره الهلكة
فرط اذا تقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل
اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة وقرئ يفرط من افرطه غيره
اذا حمله على العجلة نخاف ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او
من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من
قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ
من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا
وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجلنا
على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول
فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما
اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فافعل ما يوجب نصرتي لكما فجاز ان لا يقدر مفعول واما لكم
وجاز ان يقدر وكانه قيل انا حافظ لكما وناصركما سامعا
مبصرا واذا كان الحافظ الناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت
المبالاة بالعدو كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكاليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل
شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية
من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى
الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن
ومعه ايتان لان المراد في هذا تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال

بل جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة [illegible]
فتحيتكم ببينة من ربكم فات بآية ان كنت من الصادقين او لو جئتك
بشي مبين [illegible] سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء الى
احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل
ان يحمله خبثه ودعارته على استدعا كلام موسى دون كلام اخيه
لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى [illegible] عليه ام انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه او لمفعولي اعطى اي اعطى
خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل
شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين
الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق
به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث
جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج منهما شيئا
غير جنسه وما هو على خلاف خلقته وقرى خلقه صفة للمضاف اليه اي كل
شي خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطي
وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما احصره وما اجمعه وما ابينه لمن
القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق سأله عن حال من تقدم
وخلا من القرون وعن شقا من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا
سوال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا
اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله
في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطي شيئا او ينساه يقال ضللت الشي اذا
اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل [illegible]
امثله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من
وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شي

[illegible] فيه لكل معلوم تعينت وكلما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان
كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان
كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت
ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع
صفة [illegible] او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه
مهدا قرأه اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو
ما يمهد للصبي سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب
المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا
به انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان
بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة
لمشيته لا يمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق وفيه تخصيص ايضا بانا نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد
ازواجا اصنافا [illegible] بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى
صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات
والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد
والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها
يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد
انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون
على اكله اي قائلين كلوا وهو حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا
اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا
بعضها [illegible] خلقناكم [illegible] اصلكم وهو ادم عليه السلام منها وقيل
ان الملك لينطلق فياخذ من المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق

من التراب والنطفة معًا وأراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ٥ اريناه بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق ٥ يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلم لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك

ايضا ان يوقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه ٥ فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان يحشر الناس بالياء والتاء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل وان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب

في اتباع الحق ويحق حقا المبطلين واشياعهم ويكثر الحديث بذلك الامر العظيم
في كل بدو وحضر وتنتشر في جميع اهل الوبر والمدر ولا تفتروا على الله كذبا
اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات
لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق ... الا مسحتا او مجلف في بيت
لا تزال الركب تمطل في تسويته اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى
اتبعناه وعن قتاده ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر وعن
وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا
في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم
في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما
قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة المكشوفة وابن كثير وحفص ان
هذان لساحران على قولهم ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية
وان المخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان
هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة
ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي
آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها يا في الجر والنصب وقال بعضهم ان
بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما
ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى
وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو
اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس
واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال لهم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا
طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا
كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد
منكم كالمسالة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين
وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة
واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم

وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او
يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز
من غلب ان ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف
معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال
ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من
انفسهم وكان الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم
اولا مع ما فيه من مقابلة الادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر
ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف
بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة
للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها
انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت
في بعض المواضع بان يكون ناصبها مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل
حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه
السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي
وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل
على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل
ويخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار
شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع
الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس
شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف
وكلمة التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف ولفظ العلو وهو
الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون

تضخيم أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك
فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها
أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه
على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ تلقف
بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون قرئ كيد
ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ
كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته
أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه
وعلم نحو فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى
معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله
ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس فإن قلت لم نكر أولا وعرف ثانيا قلت إنما
نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج ٥ في سعي
دنيا طالما قد مدت ٥ وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة
المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيدا سحريا وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي
وأخروي حيث أينما أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان سبحان الله ما أ
أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة
للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم
حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في
سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم
وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال
لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء وقرئ فلأقطعن
ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن
كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك
شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من

وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف
بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء
الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين وفيه تصلف باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس
بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف مع الهزء به لأن موسى لم يكن
قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم وقرئ تقضي هذه الحياة
الدنيا ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف
بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروي أن
السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل
وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه تزكى
تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث
هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله يبسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا
ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف
لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو
جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب
وقرأ أبو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك
فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه
قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء
التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون
بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا ما غشيهم من باب
الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم

كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله
سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله
وما هدى تهكم بهم في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب لهم
بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني
اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد
والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك
عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة
في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم
ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من
سائر نعمه وارزاقه وطغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها
ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق
الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل
وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب
اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول هوى هلك
واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده
ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات
على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها
على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير
مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم
على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب
ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك
اقرب الى رضا الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة
وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان

يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على
اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا
اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول
يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب
العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى
كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد
تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال
عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد
العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به
في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد
راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى
ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب
المنطبق المترتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون
وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في
القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا
قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله
تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت اخبر الله تعالى عن الفتنة
المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على
اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ واضلهم
السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني
اسرائيل يقال لها السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل
باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله
عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين
فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر

ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حُلي زنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية تحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مفارقته لهم يعني طال العهد يعني طال زماني بسبب مفارقتكم وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري ما اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحي اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة الا انقلب تلك التربة جمادا انشأ الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت لم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه فعلى ان مخففة من

التثقيله ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا هذا المعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت تباشره انا لو كنت شاهدا او ما لكم لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا من الايات العظام ان القى الالواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتطرق في برايك وخشيت عتابك على اطراحهم وتركهم سدى والذي فيه مرضاة الله الذي حفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له قرئ الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ ابن مسعود فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت

المرسل

من الله من المرسل الملك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف الله بل عوقب في
الدنيا بعقوبة لا شي اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكلما يعايش
به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس
والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس
اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان
قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم
في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة
والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك
الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الا
خرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك
هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن عباس وابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله
عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا
اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه
وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر
ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون لنحرقن فمبالغة في حرق اذا
برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب عليه السلام
لننسفنه بكسر السين وضمها وهي عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به
وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
وقرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شي علما
وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شي
واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل الى التعدية
الى مفعولين نصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول

في

في خاف ... فيتزيد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب
... وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اي مثل ذلك
الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر
اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر
السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من كابر وعاند
وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة
بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل
عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة
سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح
الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ
يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد
الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله
ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم
كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب اي ايوب هو المخصوص بالمدح
ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام
في لهم ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت
ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء
وحكمه حكم بئس ضمير شي بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي
حكمه حكم بئس وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا
بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك
واحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة
هذا المنصوب اسند النفخ الى الامر به فيمن قرا ننفخ بالنون او لان الملائكة
المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه

ومن يهمس منه ان تسرّب ما يتولونه الى خاتمه وقرئ تنفخ على لفظ اسم فاعله
وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل
عليه السلام واما الحشر بالنون فلم يقرأ بها الا الحسن وقرئ في الصور بفتح
الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة
تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة
ابغض شيء من الالوان الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون
ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون
لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما
لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون
عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم
وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد
الله بن المعتز تحت الحال الله تعالى كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم
الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها
بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون
اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه
قوله تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث
ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى
الطعام فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر
كقوله ما ترك عليها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج
فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين
فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن
بديع

بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون
وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك
وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم
استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر
ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن
الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة
وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل
فيه عوج بالكسر الأمت النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت اضاف اليوم
الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان
يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو
اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب
الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير
انحراف متبعين لصوته اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت
فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو
من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من
الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن
له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له الرحمن لاجله اي اذن للشافع
ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه
ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا
يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي
ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب

وما بعده اعتراض ... لكن خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم
انما خسر صاحبه ... حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه كصفة المطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويستوجبون ... الكيل المخسرون
اي فلا تخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا تخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات
المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه
ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة
والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث ونحدث
بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم التاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب
غير مستحقب ۞ فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده
من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب
اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله
قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتأن
عليك ريث ما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن
قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل
معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان ... حتى يقضى اليك وحيه
وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع والشكر له عندما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادابا جميلة ما كانت عندي
فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله
بطلب الزيادة في شيء الا في طلب العلم يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم
الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة
ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد
امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين
ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي
عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه

يقول ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرق فيهم راسخ فان قلت ما المراد
بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم
يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط
النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من
الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان والعزم
التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان
من التسويل والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون
نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت
ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة
وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من
كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس
كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر
وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم
فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي
معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم
كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف
وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف
صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في
اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا
الا فلانة لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم
يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
سجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن
سببا لاخراجكما وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حواء بعدما
اشركهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم
شقاهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده

البرد [illegible] مع الحاجة على المفاصلة واريد بالشقاء التعب في طلب القوت
وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور
احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ وانك بالكسر والفتح ووجه
الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان
زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت
الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن
حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع
ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف
الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف
ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي
لنقائضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف
الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فان قلت
كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى
قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة
الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه
وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة
كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان
من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره
حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي عليهما السلام وابن عباس رضي
الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل
واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها
وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو
منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها

الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا
فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا
الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس
لا شبهة في ان ادم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه
ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا
وخيرا فكان غيا لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى
بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل ادم واخطا وما اشبه ذلك
مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة
وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي
المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته
بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات
والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم
من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول
في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث فان قلت ما معنى ثم اجتباه
ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته
ومثله جليت علي العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تاتهم
باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة
الجمع يقال اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار
وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى لما
كان ادم وحوى عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشؤوا
وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما
ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في
الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن
اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن
اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل

في الدنيا بخرق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه
نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر وتستوي في الوصف به المذكر والمونث
ومن مثل على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله
وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا
قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص
الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض
يده عن الانفاق فعيشته ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض
احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة
من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات
الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
وعن الحسن هو الضريع والزقوم وعن ابي سعيد الخدري عذاب
القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب
الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق
بالعمى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة
مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها
فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك لما توعد
المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في
الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى وكانه
قال للعمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا
اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا فاعلم بمعنى الجملة بعده بريد

الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون
فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد
ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود يمشون في مساكنهم ويعاينون
اثار هلاكهم [illegible] هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول
لولا العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام
اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم
لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا
على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى
لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ
العاجل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك
للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على
الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع
الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في
النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل
واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم
قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا
صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل
في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف
النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله
واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال واقم الصلوة طرفي النهار قلت
الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الاية مجيئهما
في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار على اناء الليل ولعل

ولعل من خاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك
ويسر قلبك وقرى ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر
تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل
نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم
اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير
الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان
النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه
نظره ويملا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار
به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة
وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة
فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال
الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة
قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين
متعنا اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور
وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة
فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جا في الجهرة
الجهرة وقرى ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهرو هذه
الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم
بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم
لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة
بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الاخرة الذي هو خير منه في نفسه
وابقى او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب
والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه
الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط

عن

عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك
رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت
ولا تمدن عينيك الى وامر اهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله
والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك
مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك
لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن
الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي
الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية اقترحوا على عادتهم
في التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب
الاعجاز يعني القران من قبل ان القران برهان ما في ساير الكتب المنزله ودليل صحته
لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج
عليه الى شهادة الحجة وقرى الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في
معنى البرهان والدليل وقرى نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل اي كل واحد
منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرى السوا بمعنى الوسط والجيد
اي المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرى فتمتعوا فسوف تعلمون
قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل
الجنة من القران الا طه ويس

سورة الانبيا مكية وهي مايه واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك
ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه
ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك
زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه

اعز من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون
فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت
كيف وصف بالاقتراب وقد عد دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت
هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه
قريب وانما البعيد الذي وجد وانقرض ولان ما بقي في الدنيا اقصر واقل مما
سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال
عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء
ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة
الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد
بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه
من صفات المشركين. وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن
حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة
امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا
ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا
وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ
بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة
ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع
الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد
الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي
عبلة محدث بالرفع صفة على المحل وقوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان
او متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم
خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان
فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يتفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم
وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي

لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها
بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا
اشعارا بانهم الموصوفون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال
اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى
قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم
بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله
في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى
الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل
الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا
هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور
في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين
في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن
واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه فان
قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر
والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على
نجواهم من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف يخفى
عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل
انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالآكد
في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع
وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب
تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكأنه
اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد

ومطرني آية بأنه أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو يحمي له علام الغيوب
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وعزي قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام
مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع
غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج
الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع
من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى
الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق
بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة اتهم يؤمنون فيه انهم اعتى
من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم
نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث
امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى
اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم علمهم لانهم
كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردا لقولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلون الطعام
صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد
لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل
ويشرب بما ذكرت فما اراد من قولهم وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان
يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان
ملكا لا يطعم ويخلد معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة
وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في
الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم
المؤمنون ومن في بقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك

ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر
كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم
افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية
اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما
آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين
بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلط على
اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد
من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر
الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بانها احدى القرى
التي ارادها الله بهذه الآية فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة
لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى
اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم
لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم
بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان
قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او
يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته
لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة لعلكم
تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا
عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او
ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم
وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا
ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين او يسألكم الناس في انديتكم

المساءلة في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم
ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب
اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم
رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ
تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان
قلت لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل
فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع
المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول
جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان
بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان
قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود خامدين عطف على المماثلة على الحصيد اي
وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة
بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر
زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية ٥
لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها
من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو
واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه
ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا
من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا من الملائكة
لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه
منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا
واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك
القذف

القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة
مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه
به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ٥
سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ٥ وقرئ فيدمغه ومن عنده هم
الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور
قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم
احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل
دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر ام هذه ام المنقطعة
الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
والمنكر هو اتخاذهم الهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم
المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة
تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى
وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ٥
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات
كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم
وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف
يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم
بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم
الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم
بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده
لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من
الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى
الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية

وسماويه ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مومنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة
الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد
الهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض
جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه
افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدرون على الانشار الا هم
وحدهم وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت
الالهة بالا كما توصف بغير لو قيل الهة غير الله فان قلت ما منعك من
الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب
والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم
احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو
كان يتولاهما ويدبرهما الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما
لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما
الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان
قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين
لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان
حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن
لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها
تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك
الصفات حتى تثبت وتستقر اذ كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسالهم
من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم
تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك
ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسال عن افعاله مع ما علم واستقر
في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا
ولا فعل القبائح وهم يسالون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم

بان يقال لهم لم فعلتم في كل شي فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا
لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا
برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا
من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والا
شراك به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد
الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر
اي موعظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد امم الانبياء وقرئ
ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر
الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي
من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب
والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك
فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل
بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز
بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ
الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم
بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى
كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الاية
مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة
الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على ساير العباد لما هم عليه
من احوال وصفات ليست لغيرهم وذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم
اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم
من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيا
حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون

قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا
كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون
مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا
الا لمن ارتضاه الله واهّله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم
مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون
على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى
جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف
كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية والاعمال المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك
منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون
كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك
وتعظيم شان التوحيد قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى
المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح
ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف
اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما
او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج
بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون
كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه لقاحان سوداوان
اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما رتقا حتى
جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي
هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء
وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص
وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين
فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل

دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه
كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب
من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا
الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب
او لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد
لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق
الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر
كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن
جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من
جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه
حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته
من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من
الملائكة عن آياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر
وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب
العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من
اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظم
شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة
في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع
الدنياوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان
بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما
جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب
في جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير
واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها

قلت محلها الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار
بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة
تختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة
فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم
سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس
كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا اي قضى الله
ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك
فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب
فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر
وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر موكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون
بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت
فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه
قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم
عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء
ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به
من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا
منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القران
والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزو والسخرية
وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون
متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان
على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم
ان

ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان
آدم وانه حين بلغ الروح في صدره ولم يبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح
في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر
النهار يوم الجمعة قبل الغروب فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر
ابن الحرث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم
والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال
مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف
ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا
الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون
على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز
ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم
النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها
بل تفجؤهم فتغلبهم تقول للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر
اي غلب ابراهيم الكافر وقرا الاعمش ياتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير
للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المونث في هذه القراءة قلت الى
النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة او
الموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى
الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره
اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال
سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم
السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء

ما تعلوا من الرحمن اي من بأسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم
فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم
عن ذكر من يكلاهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه
ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم
فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع [illegible]
الناصين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم
حتى طال عليهم العمر وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا
على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ
وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط
المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها الى دار الاسلام فان قلت
اي فائدة في قوله نأتي الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه
على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين
وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم
بالتاء والياء اي لا تسمع انت او لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع
فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر
فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة اليهم وليست
للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه
الصفة من الجرأة والجسارة على التصام من آيات الانذار ولئن مستهم من هذا الذي
ينذرون به ادنى شيء لادعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا
واعرضوا وفي المس والنفحة ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ووصف الموازين
بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف
اي

اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون
من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام
سابع وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين
قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال
بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين
لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال
عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سال ربه
ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان
يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة
فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما
توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة
وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة
لقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة
من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء
واثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته
الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة
وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او آتيناهما
بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله
يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا
ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما
يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف ومحل الذين جر على الوصفية او نصب
على المدح او رفع عليه وذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة
خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم
ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له شانا من قبل موسى وهرون
من قبل

ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى
اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك
هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ متعلق باتينا او برشده
او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل
تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم
لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف
لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون
على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح
التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين
حين استدرجهم الى ان قلدوا اباهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم
وهم معتقدون انهم على شي وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون عن
باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي
لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل
ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين على غير
دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم
عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله
على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جيتنا به اهو
جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل
وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته
على ذلك ادلاوه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه
قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوي بالبينات لاني لست
مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الا
حتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباكم قرا معاذ ابن جبل
بالله وقرى تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت

ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده
وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله
صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره
وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن   اذا الله سنى عقد
شي تيسرا روي ان ازر خرج به في يوم عيد لهم فبدوا ببيت الاصنام
فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع
بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين
صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه
جوهرتان تضيان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير
علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل
واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقري بالكسر والفتح وقري جذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم
لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم
بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم وعن الكلبي اليه
الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون له ما لهولاي مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا
بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم
في الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء
بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويوهل للعبادة ان يرجع اليه في
حل المشكل فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم
ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فايدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله
ابرهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا
ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادتهم على جهل عظيم ان من فعل هذا الكسر
والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقية

عندهم بالتوقير ... لا عظمها وانما الابهم فاو اثراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة
بها **فان قلت** ... فاين نحن سمعنا فتى اي ... بيهما **قلت** هما
صفتان لفتى الا ان ... الاول وهو يذكرهم لا بد منه ليسمع ذلك لانه قد سمعت
زائدا وتسكت حين تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك **فان قلت**
ابرهيم ما هو **قلت** قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادي والصحيح انه فاعل
يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعني معاينا
مشاهرا اي بمرأى منهم ... ينظر فان قلت ... المستند الي على **قلت**
هو وارد على طريق المثل ... اثباته في الاعين وتمكن ثبات الراكب
على المركوب وتمكنه منه ... علهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله
او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا
باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان
الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه
لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى صنم وانما قصد تقريره لنفسه
واثباته على اسلوب تعريضي ... منه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم
وهذا كما لو قال لك صاحبك ... كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير
بحسن الخط انت كتبت هذا ... وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على خرمشة
فاسدة فقلت له بل كتبته ... فقصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به
لا نفيه عنك واثباته للامي ... والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات ... ادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام
حين ابصرها مصطفة ... وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى
من تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته
بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه
ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما
تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
هذا واشد منه ... انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه

هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله
اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم
فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا
حين رجعوا الى انفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك
الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها
عن حال الحيوان الناطق ... مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم
مجادلين لابراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا
على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به
ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم قرأ ابو رمون
ابن عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره
ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق
الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف
اجمعوا انهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة
وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت
قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار
باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي
انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا
اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لا
جمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو
من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل
عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه
وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

والملك عليه نمرود بن المصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال
اني مقترب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك
جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثمة قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم
نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم في
نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا
في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر بشيء فامتثله والمعنى
ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك
ابراهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها
فان **قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها طبعها
الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال
والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها
ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم وارادوا
به كيدا اي ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه
بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه
نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه
فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية
وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني
والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه
الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت
المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة
وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله
فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل
عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى

الاقتداء بالمهتدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة حكما حكمة وهو ما يجب
فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا او في
الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء نصرناه من قبل هؤلاء المذكورين
هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم
منه اي اجعلهم منتصرين منه الكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه
اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه
ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او
الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن
فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها
والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادا
فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان **قلت** احكما بوحي ام باجتهاد
قلت حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل
اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان **قلت** ما وجه كل
واحدة من الحكومتين **قلت** اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم
فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على
النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه
ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمن انه
جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك
عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر
والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه
يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد
فاذا ظهر ترادا فان **قلت** فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما
حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل الا ان يكون

او بالنهار

مع البهيم سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله علي بهما
جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا
قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول
معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها
اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث
سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام
كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير
بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي
قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء
مثل ذلك اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع
قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين
والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها
فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء
لداود او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء
والنصب للعطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف
تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية
طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال
غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في
نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد
ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا
لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء
كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون
الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور
واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله

حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة
فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرئ بالكسر على اضمار القول
او لتضمين النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في
النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت
جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب
وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق
بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان
له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة
عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت
فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة
وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو
دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من
الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده
ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا
العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة وقيل في
ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك
لانه ذو الحظ من الله والجد وقيل على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في
زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب
الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون الحوت فاضيف
اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم
وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله
وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت
ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب

عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا فظن ان لن نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر
بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسر بالتضييق
عليه وبعقد بر الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال
لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك
قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه
قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان
لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة
بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله
ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده
بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه
في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين
في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من الظلمات الى
النور وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت
اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت
او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي ونجي
ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته جعله فعل وقال نجي النجاء
المؤمنين وارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فتعسف
بارد التعسف سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث
ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من
يرثني فلا ابالي فانك خير وارث واصلحنا له زوجه اي جعلناها صالحة للولادة
بعد عقرها وقيل بتحسين خلقها وكانت سيئة الخلق انهم اي المذكورين
من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلبتهم الا لمبادرتهم ابواب
الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون ويدعوننا

رغبا ورهبا بالاستكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين
قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب
وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابراهيم فقال الا تدري
قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليُرِ الله منه خيرا
لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ راسه والتي احصنت فرجها احصانا
كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان
قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا
ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح
في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت
فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم
من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قيل وجعلنا الليل
والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه
من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ملة الاسلام هي
ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة
غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل
من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني
مبتدأ والخطاب للناس كافة وتقطعوا الا ان الكلام صرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى
جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه
فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم
فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم
سيئهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل

في اعطايه اذا اقبل الله سعيكم وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول
فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبون لذلك السعي ومثبتوه
في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه استعير
الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منهم وابى ان يكون بالهمزة وقرئ وحرم وحرِم بالفتح والكسر
وحرُم وحرّم ومعنا اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
ومعنى الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم
الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة
فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى
يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد
من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور
في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل
فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح
حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت
بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة
بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي
حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزا اعني
اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف
المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ اجوج وهما
قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج وما
جوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج
يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس من
كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم
السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة

مسد

مسد الفا كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جات الفا تعاونتا على
وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا
هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا
متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين
كفروا انما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم
لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمايه وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلى
عليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فاقبل عبد الله ابن
الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه
فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال
صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان
قلت لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون في لقاء ذلهم في غم وحسرة
حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب
ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة ويستنفعون بالهتهم
وشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم
منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير
قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان
لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب
المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن
مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم

الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب
وإما التوفيق للطاعة وروي أن عليا عليه السلام قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم
وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت
الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي
يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من أحزن والفزع الأكبر
قيل النفخة الأخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض
وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين
يذبح الموت على صورة كبش أملح أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب
الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم فدخل العامل في يوم
نطوي لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة
أي كما يطوى الطومار للكتابة أي ليكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء
ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة
وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها أول خلق
مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف متعلقة بها والمعنى نعيد أول الخلق
كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء فإن قلت
وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده
أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فإن قلت ما بال خلق منكرا قلت
هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة
تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق
مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده
وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما
خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر
مؤكد لأن قوله نعيده عدة للإعادة إنا كنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل
ذلك

عن الشعبي رحمه الله زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء
من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح أي يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار
كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعا
قبة للمتقين وعن ابن عباس هي أرض الجنة وقيل هي الأرض المقدسة ترثها أمة محمد
صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد
عبر والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية أرسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحمة للعالمين لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما
أتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة
فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي
فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان
محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للكفار من حيث إن عقوبتهم
أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر
الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه
الآية لأن إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد وأنما إلهكم إله واحد
بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون
أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وأن تخلعوا الأنداد
وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى
الذي يوحى إلي فتكون ما موصولة آذنتكم منقول من أذن إذا علم لكنه كثر استعماله
في الجاري مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول
ابن حلزة آذنتنا ببينها أسماء والمعنى أني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول
ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل
بينه وبين أعدائه هدنة فأحس بغدرة فنبذ إليهم العهد وشهر النبذ
وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء أي مستوين في الإعلام به لم يطوه عن أحد

منهم وكاشف دخلتهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل رب احكم على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ قال رب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط العزيز الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم

ويتصوروها

ويتصوروها حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها وعن الزكي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام قرئ وترى بالضم من اريتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وحبالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة آخرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت

في النضر ابن الحرث وكان يجعل لا يقول الملايكة بنات الله والعزى انا اساطير
الاولين والله تعالى قادر على احيا من بلي وما رايناه وهو دانه في كل من تعالى
الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى
علم وبعض فيه بحرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة
فهو يخبط خبط عشوا غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات
كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له
ولا فيه الا الضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى روسا اهل
الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل
هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين ضلالا واقطعهم لطريق الحق
حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم
ودمائهم واياهم عنى من قال ويا رب متفوه الخطى بين قومه طريق نجاة
عندهم مستوى نهج ولو قراوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في
طريقته عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك
في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
والكتبة عليه اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور
ذلك في حاله وقري انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول
فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب
كما هو كانما كتب هذا الكلام عليه كما تقول كتبت ان الله هو الغني
الحميد على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث
بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم
في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة
والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة
خلقا اذا كانت ملسا كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل
الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على العكس من ذلك فيتبع ذلك التفاوت
تفاوت

تفاوت الناس كلهم في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا
ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على ان يجعل
النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما
قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القيا
وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها
من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي
عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقري ونخرجكم ويقر ونخرجكم بالنصب
والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه
فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك
الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين
او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته
والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين
هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام
من نقر حتى يولدوا او ينشاوا او يبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد
هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحد لان الغرض الدلالة
على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل
والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود
وغير ذلك وكانها شدة في غير شي واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع
وقري ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف
حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل
قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة التي
حتى يبلغ حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نسيا اذا اكتسب علما في شي

قوله عالقراه بالرفع قال ابو اسحاق والاجود في الا الرفع ويكون معناه ونعلمنا ذلك لغيره الاحكام لان الله تعالى لم يخلق الانام لعدم ... وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم

ينشق

لم يلبث ان ينساه ويزول عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من
هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه ومن ابن همدت والهمود سكون
المبيم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث من ظهورها
وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت
تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن
السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحياء الارض
مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب
في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود
وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده
وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس انه
ابو جهل ابن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص
وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري
وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة وثني العطف
عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض
عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل
تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه
في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا
حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى
جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه
واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى
الضلال والخزي ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به
من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته
الفجار واثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه
وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة

كالذي

كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن
والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله
وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر
بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من
اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك
التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما
ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين
وقرئ خاسر الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن او على انه
خبر مبتدا محذوف استعير الضلال من ضلال من ابعد في التيه ضالا
فطالت وبعدت مسافة ضلاله فان قلت الضرر والنفع منفيان
عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد
جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به
حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ
حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بسببها ولا يرى اثر
الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس
العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه
شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا كلام قد دخله اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من
حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه

انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه
بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي
الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع
وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والمراد ليس في يده
الا ما ليس بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد
عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر
واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت
وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته
ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر
واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة
ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات
بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا
ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم
في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت
ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد
للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل الفصل بينهم
ان يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد
من جزءي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان
الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ٥ سميت مطاوعتها له فيما
يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له
تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد
وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله

وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى
الذي فسرته لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود
قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده
الى كثير منهم اخرا مناقضة قلت لا انظم كثيرا في المفردات
المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه
قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم
اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء
لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او
ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه
وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من
الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان
يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم
بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب
وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان
كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا
لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما
يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين
واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل
هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء الخصمان
او اختصما جاز اراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى
اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب
قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم ٥
وقال المؤمنون نحن احق منكم امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من
كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا

يختصمون في دينهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى
إن الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خِصمان بالكسر وقرئ
قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم
كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران
كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من
قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا
لأذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أي إذا صب
الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب
أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما
فقطع أمعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الأرض
واجتمع عليها الثقلان ما أقلوها وقرأ الأعمش ردوا فيها والإعادة
والرد لا يكون إلا بعد الخروج والمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم
فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم
بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها
سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار
المنتشر العظيم الإهلاك يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا
بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة
الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كأدل ولولء
كأدل فيمن جر ولول ولوليا بقلبهما ياء عن ابن عباس وهداهم
الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق
الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويبغض المتكبرين لا يراد حال ولا استقبال
وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والبغضة في جميع أزمنته
وأوقاته ومنه يصدون عن سبيل الله أي الصدود منهم مستمر دائم
للناس أي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتائه
وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد

ووو

بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعي
لا يمتنع ذلك وقد حاور إسحاق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من
ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو إلى غير مالكيها واشترى عمر
ابن الخطاب دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص
والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه أي جعلناه
مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الإلحاد
العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر وقوله بإلحاد بظلم حالان مترادفان
ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه
مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب أليم يعني أن الواجب على من
كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم
به ويقصده وقيل الإلحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد
ابن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله
وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم
فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من
الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود
ومعناه من أتى فيه بإلحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحادا
فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد
فيه ظالما وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن
الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من
ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك وإذ كر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة
مثابة للناس أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت إلى
السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه
بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم
وأن هي المفسرة فإن قلت كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير
البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة

ومكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام
والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن
في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والندا بالحج ان يقول حجوا او عليكم
بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن
انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع
رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم
ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على
حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع
وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة
بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي
حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل
الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر
والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا
نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله
ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا
اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام
لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند
ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة
مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر
والضأن والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا
لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مواساة الفقراء
ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان يأكل
الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال
فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث

كلوا واذخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي
اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والا
ستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد
الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم
وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان
الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق
القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة
كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه
اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير
فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط
على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد
التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر
او الشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا
اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل
هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها
فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما
يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد
الحرام والبلد الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له
ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها
المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه
وذلك قوله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد
احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده
واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة
وغير ذلك وان تحلوا مما حرم شيئا كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير
ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب

والشهر الحرام

الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وليس في القول
اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد
وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة
فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا
قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك
بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر
والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس
وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشيا مثل تلك النفرة ونبه على
هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في
اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له
كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شي كانه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور
قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة
الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما
واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجا
هلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك
يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها
مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس
بعده نهاية بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير
فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في
علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء

اي قياما فهو مصدر اقيم مقام المصدر

اي الزور الكذب والبهتان

والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه
وبكسر الخاء والطاء وبكسر الفاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه
وقرئ الرياح تعظيم الشعائر الهدايا لانها من معالم الحج وتعظيمها ان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في
ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر
عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال
بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم
امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا
بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها
مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء
الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت
فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في
دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع
محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت كقوله
تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان
الحرم هو حريم للبيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه
واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها
الى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه
على التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك

وجه

وقرئ منسَكاً بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون
بمعنى الموضع فله أسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالماً
اي خالصاً لا تشوبوه باشراك المخبتين المتواضعين او المخلصين من الخبت
وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
وقرأ الحسن والمقيمي الصلاةَ بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين
الصلاة على الاصل البُدْن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل قال البدنة عن سبعة والبقرة
عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين
عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقرأ
الحسن والبُدُن بضمتين كثُمُر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين
وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر
قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها
الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج
ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك
الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابراهيم من احتاج
الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب واذكروا اسم الله ان تقولوا عند النحر
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك ولك صوافّ قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس وهو ان يقوم على
ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها
فتقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد
صوافناً بالتنوين عوضاً من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافٍ نحو مثل
العرب اعط القوس باريها بسكون الياء فاذا وجبت جنوبها وقعت على
الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت
والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام

القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له قنوعاً والمعتر المعترض
بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعاً وقناعة
والمعتر المعترض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعرّه وعراه واعتره واعتراه
بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع مَنَّ الله
على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي راو وعلموا
ياخذونها منقادة للاخذ طائعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم
يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش
التي هي اصغر منها جرماً واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهداً وعبرة اي
لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد
اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة
النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك
من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية
والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل
كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن لطخوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم
فلما حج المسلمون ارادوا امثال ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم
قال لتكبروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا
وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين
امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون
الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ
يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب
يجيء اقوى وابلغ اذن وقرئ يقاتلون مبنياً على لفظ المبني للفاعل والمفعول
جميعاً والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون
عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله

كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله من
بين مضروب ومشجوج يتظلمون فيقول اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا
فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف
وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة
فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر
واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا مؤذن
بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في موضع الجر على الابدال من حق اي بغير
موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا
موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله دفع الله
بعض الناس ببعض باظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة
ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم
فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات
ولا للمسلمين مساجدا او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة
لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره
اي من ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما
سيكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط
لهم في الدنيا حيث يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا
والله ثناء قبل بلاء يريد انه اثنى عليهم قبل ان احدثوا من الخير ما
احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم
يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين
لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور
تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه

تاكيد

60

تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم فقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل
قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل
وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه
غير قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا
وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او كرم فهو عرش
والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا
من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية
فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم
تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع
بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية
وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على ان معنى السقوف سقطت
الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة
على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي
ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها
لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرا الحسن معطلة
من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الالات الا
انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص
او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بئر عطلناها عن
سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة
عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه
بير نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب
وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البير

حاضر

اسمها حاضورا أتاها قوم صالح وأمّر عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرّب قصورهم. يحتمل أنهم لم يسافروا فحثّوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا. وقرئ فيكون لهم بالياء أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي. فإنها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فإنه. ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه. والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب. فإن قلت أي فائدة في ذكر الصدور. قلت الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لأن محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا. أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما عنده كالألف سنة عندكم. وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام

الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب. وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال. وقرئ يعدون بالتاء والياء. ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إليّ وإلى حكمي. فإن قلت لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو. قلت الأولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة. سعيت في أمر فلان إذا أصلحه أو أفسده بسعيه. وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه. والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم. فإن قلت كان القياس أن يقال إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده. قلت الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا. من رسول ولا نبي دليل بيّن على تغاير الرسول والنبي. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّا غفيرا. والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله. والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس

بما شجعها به منبئ لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة
فتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه
الناس فلما سجد في آخرها سجد معه من في النادي وطابت نفوسهم وكان
تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة
والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبيا من قبلك كانت هجيراهم كذلك
اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في
امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من
صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين
وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته وتلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء
لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته
اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم
المشركون المكذبون وان الظالمين يريد واياهم ولاء المنافقين والمشركين
واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك
اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله
لهادي الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المجمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة
حتى لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين
آمنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر
وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن
عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف به
يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم
اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة
فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد

بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها
فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة
ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال
الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل
الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه
واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط
المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين
الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب
عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة
الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه
لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه
وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله
فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه
عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي
عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به
من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة
على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك
اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل
في النهار والنهار في الليل او بسبب ان الله خالق الليل والنهار ومصرفهما
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف
وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت ما معنى ايلاج احد

المكوّن في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بتغييب
الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج
ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات
وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وأن ما يدعون بلفظ المبني
للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الموصوف بخلق الليل
والليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب
أن الله الحق الثابت الإلهية وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه
لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً وقرئ مخضرة أي ذات خضر على مفعلة
كمبقلة ومسبعة فإن قلت هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع
قلت لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول
أنعم الله على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت
فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فإن قلت فما له رفع ولم ينصب جواباً
للاستفهام قلت لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الا
خضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر
أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه فيه وإن
رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم
في علم الإعراب وتوقير أهله لطيف واصل علمه أو فضله إلى كل شيء خبير
بمصالح الخلق ومنافعهم ما في الأرض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المرا
كب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على
الابتداء أن تقع كراهة أن تقع إلا بمشيئته أحياكم بعد أن كنتم جماداً تراباً
ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم هو نهي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك
أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال
لا علم عندهم وهم كفار خزاعة وروي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان
الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله

يعنون

يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان
أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين في الأمر
في أمر الدين وقيل في أمر النسائك وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتاً
لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله
بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن
آيات الله ولا تكونن من المشركين فلن أكون ظهيراً للكافرين وهيهات
أن ترتفع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الحمى ولكنه وارد
على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته
فنزعته أي غلبته أي لا يغلبنك في المنازعة فإن قلت لم جاءت
نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لأن تلك
وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت
على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً أي
وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع
فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو
مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب
من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء
بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح
قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات
لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة
عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليه علم
ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا
الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور
أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش
وقرئ النار بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما هو فقيل النار

اي هو النار المبتدأ على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم
وعدها استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان يكون حالا
عنها اذ انصبتها او جررتها باضمار قد فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف
سماه مثلا قلت لما كانت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم تدعون بالياء والتاء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي
المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هاهنا الدلالة على ان خلق
الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم لانه قال محال ان يخلقوه فان قلت
ما محل لو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا
الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ
ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان
قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر
على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا
وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف
منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب
اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن
ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي
ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها
ولم يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ
العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر
وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك
للمدركات

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة
واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

للمدركات وعالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية
واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل
وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ٥ لما ذكر شان
ليس اخيرة من الطاعات في هذه السورة دلالة على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين
اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم
والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما
اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم
بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير
مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما
وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى
سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون الا سجدة واحدة لانهم
يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الا
صغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله حق جهاده
وجدا اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله
قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا
بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع
في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه
ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمؤمنين وفسح بانواع
الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر

ولا يريد بكم العسر وانه محمد هي الامه المرحومه الموسومه بذلك في الكتب المتقدمه
نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم
كقولك الحمد لله الحميد. فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو
ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم
اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول
قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القران في سائر الكتب
وفي القران اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول
شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم
واذ خصكم بهذه الكرامه والاثره فاعبدوه وثقوا به فلا تطلبوا النصره والولايه
الا منه فهو خير مولى وخير ناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج او اعتمر
فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنين مكيه وهي مائه وتسع عشرة وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون قد تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين
لمثل هذه البشاره وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على
ثبات ما توقعوه ويجوز ان تكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكاها
في وقوعه جواب قسم والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل
في الفلاح كابشر دخل في البشاره ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على لغة اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله
فلو ان الاطبا كان حولي. فان قلت ما المومن قلت هو في اللغة المصدق
واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين
مواطئا قلبه لسانه فهو مومن والاخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر
التقي دون الفاسق الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة
وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره
الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا
قام الى الصلاة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شي او يحدث نفسه بشان من شان
الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل
الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي
والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والتشبيك والاختصار وتقليب
الحصا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة
فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو
يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان
قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له
فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له
فغني متعال عن الحاجه اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل
كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاه واطراحه يعني ان بهم من الجد
ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف بالاعراض
عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا
بناء التكليف الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي
يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكيه
وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من
مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل
الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكيه وعلى هذا الكلام كله
والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله
او بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون
لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها
وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمه
والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف

محذوف وهو الاداء ومحل الباء على هذا الوجه النصب على الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات
عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اى واليا عليها ومنه
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم
حافظون فى كافة الاحوال الا فى حال تزوجهم وتسريهم او تعلق على بمحذوف
يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على كل مباشر الا على ما اطلق
لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان
فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى
ما طلبت منك الا فعلك والذين هم لفروجهم غير حافظين الا على ازواجهم
فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجرى
مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال
فمن احدث ابتغا وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من
الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون فى العدوان المتناهون فيه
فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح
المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرى لامانتهم سمى الشى المؤتمن
عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى قوله تعالى ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى
العيون لا المعانى ويخان المؤتمن عليه لا الامانة فى نفسها والراعى القائم
على الشى بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويقال من راعى هذا الشى
اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا
من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس
وعهودهم وقرى على صلاتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا
وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع
فى صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها فى
اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى ان تتم به

اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة اى صلاة كانت
وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر
والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء
والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة
وغيرها من النوافل اى اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون
الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون
الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر
فى سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمر روى ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لانها تسل
من بين الكدر وفعالة بنا للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين
ظهرانى الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتدا
والثانى للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعلنا الانسان
نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره
بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة
المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها فى نفسها لانها مكنت بحيث
هى واحرزت قرى عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا
العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان
الانسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر اى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة
ما ابعد ما بينهما حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا
وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من
اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف
الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن
غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر

سوى البيضة فتبارك الله فتعالى أمره في قدرته وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين وروي عن عبد الله ابن سعد بن أبي سرح
أنه كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول
الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة
كافرا ثم أسلم يوم الفتح ثم إنكم بعد ذلك لميتون قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت
والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت
الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك جعل الإماتة
التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار
عظيم بعد الإنشاء والاختراع فإن قلت فإذا كانت الإحياءة الإحياء الإنشاء وحياة البعث
قلت ليس في ذكر الحياتين نفي للثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثيه ما عدد كل
وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه
الأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة الطرائق
السموات لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو
طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب
فيها مسيرها أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن
حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم
ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم
وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار
ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض كقوله فسلكه ينابيع
في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض وقيل أنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من
عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها
منافع للناس في أصناف معايشهم وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته
وقوله على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من
وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شيء

شيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا
نفارها إذا لم تشكر وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها
للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرها جامع بين أمرين أنه فاكهة يتفكه بها
وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وتمرا وعنبا وزبيبا والزيتون بأن دهنه
صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم
فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم
ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئ مرفوعة
على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينا لا يخلو إما أن يضاف فيه
الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف
إليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف
للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وسيناء وبعلاء لا يكون ألفه للتأنيث
كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرفه لأن الألف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين
وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى وقرأ الأعمش سينا على القصر بالدهن
في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن
أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل والثاني أن مفعوله
محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء
وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن
وفي حرف أبي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الأعمش وصبغا
وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي أول
شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله من شجرة
مباركة وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام ومنها تأكلون أي
تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال

والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالا
نعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها
سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها ◦ يريد صيدحه
غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل
للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم
وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا
غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم
ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض ◦ بهذا اشارة الى نوح
عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شأن الضلال لم
يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على
انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي
وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق
وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا
والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه
الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبته فان افاق من جنونه والا قتلتموه في نصرته
اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ◦ باعيننا بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله حفاظا
يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة
ووحينا اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك وروي ان الله اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ
الطائر وروي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وقيل كان من حجارة
فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل

مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال
له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف
موضع في الارض اي اعلاه وعن امير المؤمنين علي صلوات الله عليه فار التنور طلع
الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم
حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه
قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ◦ من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة
الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد
ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة
بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله
تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا
لا علي ولا لي **فان قلت** لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة **قلت** لما تضمنت
الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة
في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول
فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم
كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره
ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض
عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان
يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين
فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى
فاذا استويتم **قلت** لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من
الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى
اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله تعالى
ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية

وبينها والمعنى ان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب
شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد
تركناها اية فهل من مدكر قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد
له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود
على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فان قلت حق ارسل
ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى
تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة فما ارسلنا في قرية من نذير
فارسلنا فيهم رسولا اى في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا قلت
لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا
للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام ه وقد جاء بعث على ذلك
في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم
على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه
في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه
انا لنراك في سفاهة قالوا ما جئتنا ببينة وهاهنا مع الواو فاي فرق
بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه
فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله
ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء
الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة
اى جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه لدلالة
ما قبله عليه اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي
تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ثنى انكم للتاكيد وحسن ذلك لفصل
ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون
مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم
مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة
الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم هيهات بالفتح

والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت
ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات
العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون
او بعد لما توعدون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو ان
تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام
في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه
واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها
ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا
حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة
على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي
يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن وياتي قرن اخر ثم قالوا ما هو الا
رجل مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن
بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا
حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة
صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق اذ كان عادلا في قضاياه فشبههم
في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من
السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة
مواضع افعالها وهي جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل
اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد
رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك
ولما توعدون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس
بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف
للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في
تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف

اسم للوقار

الرسل اليهم والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة
والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا
في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم
جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا
وتعجبا وهو المراد هاهنا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان
تراد العصا لانها ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها
حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها
وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى
وجبريل وميكال ويجوز ان تراد الايات انفسها اي هي آيات وحجة بينة
عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او
متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا
بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان
والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن وقالوا ايضا هما
مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني
بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى
للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب اي قوم موسى التوراة
لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم
يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا
يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما اوتيها
بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه
قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد
تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ
محتمل

محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة
الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم
ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد
الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها
وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين
فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية
منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها
والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته
فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه
نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون
وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما
ارسلوا متفرقين في ازمنة متفرقة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه
نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به
حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات
الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا
ينسى الله فيه والقوام ما امسك النفس وحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ
من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه عقيب قوله وآويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى وامه الى الربوة
فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل
كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل
قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة
وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة
الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين
دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق الغمرة الماء الذي

يعمرهم القامة وضرب مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او تشبيها باللاعبين
في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رض
عليه السلام في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرئ يمدهم
ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويحتمل في يسارع ويسرع ان يتضمن
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا
لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء
الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون
يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في
ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان
الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضمير قلت هو محذوف تقديره نسارع به
ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك
لاستطالة الكلام مع امن الالتباس يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة
رسول الله وعايشة يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت
يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله
قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك
يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان
يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا
سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا
للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين يسرعون في الخيرات
لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها
سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون
لها

لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من
بين البشر يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع
والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضايع
عنده بل هو مثبت لديه في كتاب بين اللوح او صحيفة الاعمال بالحق
لا يقرأ منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان
ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان
يكون على صفة هولاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل
طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا
من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غمرة غامرة لها من هذا
اي مما عليه هولاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية
لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون
عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام
الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول
الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة
والقد والاولاد اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة قال فجار ساعات الليل لربه
اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا
تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير
في انه للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل
الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه
لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي
فانها ذكرت لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم
به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث
لكم استماعه استكبارا وعتوا وانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء
بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت

بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا
وسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق
على الجمع وقرئ سمّرا وسمّارا وتهجرون وتهجّرون من اهجر في منطقه اذا افحش
والهُجر بالضم الفحش ومن هجّر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهَجر بالفتح الهذيان
القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن
جاء به بل اجاءهم ما لم يات اباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه لقوله لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل
ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات اباءهم حين
خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من
عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما
كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا
اسدا بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من
شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروى في ان ضبة كان مسلما وكان
على شرطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة
هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش
والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا به
جنة الجنون وكانوا يعلمون انه برئ منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا
ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما
نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا
ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على
الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم
فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة
واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق
كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
قلت يا سبحان الله كأن ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم
شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم
لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق
الذي جاء به محمد هو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة
ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها
يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر
على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان
عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم خرجا
فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة
ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص كقولك خراج القرية وخرج الكردة
زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك يعني
ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد
الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم
رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله
للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى
العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطائهم
ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون
من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم بدين الآباء الضلال
من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق
من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم
من الذكر الجميل يجوز ان يريد ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون
اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان
كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي

ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا
العلهز جا ابو سفين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآبا بالسيف
والابنا بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي
اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الا
ستكبار وعداوة رسول الله والمومنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم
هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا
اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم
واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجا اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك
او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما روي فيهم لين مقادة وهم كذلك
حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس الياس من كل خير
وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل
من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى
حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جا بمنتزاح
فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى
محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولاء ان
يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرى فتحنا انما
خص السمع والابصار والافيدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في
ايات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له
فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة
فيها

فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا
قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه
تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به
وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرى يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي
قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر
قال روبة اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة
له وجمع اسطورة اوفق لانهم قالوه على وجه التجربة ومما كالاعجوبة
اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم
وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرى
تذكرون بحذف التا الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر
الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان
لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرى الاول باللام لا غير والاخيران
باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو
في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد
وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية
افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على
فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشا ولا يغيث احد
منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى وقرى اتيتهم واتيتهم بالحق والصدق بالحق بان نسبة الولد اليه
محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه
شريكا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بما خلق من
خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الاخرين ولغلب
بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون
وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت
كل شي فان قلت اذا لا تدخل الا على كلام هو جزا وجواب فكيف وقع قوله

لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه
وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله عما يصفون من الانداد والاولاد
عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون موكدتان
اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة
فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة
ولم يخبره أفي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعا فان قلت كيف
يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم
قلت يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم
انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى
الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن
قول الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست
بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنهم
بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين
قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون
الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر
على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار وهو ابلغ من ان يقال
بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح
عن سيئاتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والا
حسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه
قضية قوله التي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا
الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الا
غضا والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث
عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة نحن اعلم بما يصفون بما يذكرونه من احوالك
بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم
الهمز

المرة منه
الهمز النخس والهمزات جمع الهمزة والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها
على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم
بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله
وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى يتعلق
بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما
على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان
ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون
خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر
ادركته الحسرة على ما فرط من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة
وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته
من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد اسس
اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها
لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم
او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير
للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الا الى الاخرة الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالفتح عن ابي رزين
وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع
يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم

والثالث الا بالاعمال فتلغوا الاسباب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف
والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن
مسعود ولا يتساءلون [illegible] ثم النار في النسبين فان قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسال
حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف
التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف
سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها
لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الا
ولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع
موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند
الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من
خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد
خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد
الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان
كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام
انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى
تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون
غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه
والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسؤا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما
تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون
في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد
ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا
وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم

في غريب العزيزي الزفير اول النهيق الحمار والشهيق آخره [illegible] والزفير من الصدر والشهيق من الحلق

بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون
الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا [illegible] نعمل صالحا فيجابون
اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها وفي حرف ابي
انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه سخريا بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا
ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي
والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم
واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل
الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى
انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري اي تركتم ان تذكروني
فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر استئناف اي قد فازوا حيث
صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم لقولك
جزيتهم فوزهم قال في مصاحف اهل الحرمين والشام ففي قال ضمير الله
او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي [illegible] او بعض رؤساء اهل النار
استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها
لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم
كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله
في تقاليهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل
العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او
بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد
ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار
العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون
كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف
بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا
حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا
الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات

وترك المعاصي ثم يرتحلهم من دار التكليف الى دار الجزاء فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا
على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي
يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال
بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به صفة لازمة نحو قوله يطير
بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان
ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق
بالاحسان منه فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه
عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير
لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون
جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول
ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلث
آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع
عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال
اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر
علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها
صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها

وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت
في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنا فرضناها
فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد
للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت
الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم
تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند
الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز
ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام الذي بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه
كقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل
الامر وقرئ والزان بلا ياء فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه
وراسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت
بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة
ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا
فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه
السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة
والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن
قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة
دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ولا تاخذكم بهما رافة وقرئ رافة بفتح
الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في
دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء
حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال

لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا
الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا
فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن
زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة
رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام
ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما
على تجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا ليس بمبرح ولا هين مفرقا على الاعضاء
كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الراس والوجه والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه
لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو
والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن
بلا تغريب ومما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه
بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في
تغريب سنة كالحر وتغريب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا تغريب كما قال
ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله
فاذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه
يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة
واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن
ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن
عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد
الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت
بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله
بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس

اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الاخرة فاما اللاتي في
الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب
السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله
بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى
المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب
ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة
واختصاصه المومنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له
قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق الخبيث الذي من شانه
الزنى والتخبث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته
وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة
كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب
فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المومن الممدوح عند الله
الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم
عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء
القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات
من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى
بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن
عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة
اينما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه
الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان

نكاح الزانيه محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم
وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين
معنى الجملة الاولى ومعنى الثانيه قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير
راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانيه صفة الزانيه بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف
قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما
على ما جنيا والمراه هي المادة التي منها نشات الجنايه لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض
له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدي بذكرها واما
الثانيه فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب
ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا
فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك
الله ويجوز ان يكون معنى ان عادتهم جاريه على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العاده ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف
يكون بالزنا وغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا وغيره والذي
دل على ان المراد قذفهن بالزنا اشياء احدها ذكر المحصنات عقيب الزواني
والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان
والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانيه او لمحصن يا زاني او يا ابن
الزاني يا ابن الزانيه يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا
ان يقول يا اكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص
بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد ولا يبلغ به ادنى حد العبيد
وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به ادنى حد العبيد
وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون
وقال الامام ان التعزير الى المائه وشروط احصان القذف خمسة الحريه والبلوغ
والعقل والاسلام والعفه وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة
فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة

في قوله تعالى الزانيه والزاني

في ذكرها

وان ح

واصحابه ان حضروا في مجلس واحد وان جاووا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا
متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز
عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما يجلد الزاني
الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة
ايضا كالزانيه واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر
ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب
صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت
يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد
ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء
الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته ابدا وان تاب
وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب
عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية
فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهاده
عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو
مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل
في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجمله
الشرطيه والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله
غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه
صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبه والرجوع عن القذف
وجعل الاستثناء متعلقا بالجمله الثانيه وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب
والذي يقتضيه ظاهر الايه ونظمها ان تكون الجمل الثلث بمجموعهن جزاء الشرط
كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا
فان الله يغفر لهم فينقلبوا غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت

فاذا استوفي لم تقبل شهادته ح يتعلق ح

جزاء ح

الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين
يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون
من القذف مع الاسلام هو من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعباون
بسبب الكفار لانهم يشهرون بعداوتهم والطعن منهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف
من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف
او للامام ان يعفوا عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد
ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن
هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو
لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث
الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث
وعند الشافعي يورث واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه
الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها قاذف
امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه
الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول
لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا
في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترفعه الى
الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة
الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة اربع
مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في
الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا
وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة
والرجل قاعدا حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له

اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت
وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث
يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ثم يفرق القاضي
بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر
فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رحمه
الله تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند
ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك وحد
جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي
ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام
عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته
رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضرب بالسيف قتل
وان سكت سكت على غيظ والى ان يجي باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته
ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك
قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة بنت عاصم شريك ابن سحماء فقال
هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على
الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما
وقال رسول الله عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها
آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون
عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت
به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا
جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه
خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شأن وفي

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات

ولم يكن بالتاء لان الشهدا جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله ابن ابي لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خايض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عايشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المومنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة اية كل واحدة منها

بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم

مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المومنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوايد دينية واحكام واداب لا تخفى على متامليها بانفسهم اي بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نسا المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو

والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث
واندفع وهضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض
يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقرئ على الا
صل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه
من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي اذ تثقفونه
وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود فان قلت ما معنى قوله بافواهكم
والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم
عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم
من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة وعن بعضهم انه
جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند
الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة
وعندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه
بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادٍ الا طار فيه والثاني التكلم
بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فان قلت
كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها
لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت
اي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر
الوقت اهم وجب التقديم فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب
لو قيل ما نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم
بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك للتعجب
من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك
ان

وتلقفه ح

تقرا ام

المعلوم ح

بين لولا ح

ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صانعيه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه
او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون
امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الا
نبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما
ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات
اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه
وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا و
يتذكروا انما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح
ويبين لكم الايات الدالة على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم
من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل
لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة
وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن ابي
وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل
هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار
والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه
عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه
وفي مثل التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف
والرحيم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها
اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ
خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكي بالتشديد والضمير لله عز وجل
ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم
الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع
لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم وهو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية
وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن
ولا يتال والمعنى لا تحلفوا على ان لا تحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا تقصروا
الى

حرمة الرجل حرمه واهله ح

الله ح

بتركه ح

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم

ضرائره

بالتوبة ح

الى ح

غارها اي افرطت غيرتها ح

كانت
في ان يحسنوا اليهم وان بينهم وبينهم شحنا لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو
والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم
وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وكان فقيرا من فقرا المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه
ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر
الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب
ان تؤتوا بالتا على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن
لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال
ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال
في قوله اكثر اهل الجنة البله يشهد بالياء والتا الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزا
وبالرفع صفة لله ولو فليت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله
عز وجل قد غلظ في شي تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل
من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف
واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق
مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه
الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا
وانه يوفيهم جزاهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله
هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجا بما
لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك
الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال
عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه
قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك
ولقد

آلى م

وقرئ م

فليت الشيء اذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه

ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها
وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها
حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الايات العظام في كتابه
المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها
وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة
الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظم شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب الله
له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة
هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات
ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد
لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله
كانت المرادة اولا والثاني انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نسا الامة
الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين
قدي اراد عبد الله ابن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه
بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق
المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف
بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله
ان يتقى وتجتنب محارمه اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال
والنسا والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات
والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون
من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول
لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل
البيت وانهم مبرؤون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات

انافة

انها م

تقال م

قوله كما قال خبر مبتدا محذوف اي هذا الوجه الثاني المذكور في الاية مثل ما قال الشاعر الخبيبين فكما اريد بالمحصنات عائشة رضي الله عنها فجمعت ارادة لها ولبناتها كذلك اريد بالخبيبين عبد الله فجمع ارادة له ولاشياعه ثم اشار الى الفرق بينهما اي بين المذكور في الاية وفي البيت الا ان المذكور في البيت الاسم والمذكور في الاية الصفة

اي ولما رميت به

النسآء اي الخبائث يتزوجن بالخبائث للخبائث و كذلك اهل الطيبات وذكر الرزق الكريم
ها هنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما عن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا
ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي
وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل
عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة
خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب
ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الا
ستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري
ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفا الحال عليه واذا اذن له استانس
والمعنى حتى يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الا
ستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره
ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا
ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت
ومنه بيت النابغة على مستانس وحد وبجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف
هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال
يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يوذن اهل البيت والتسليم
ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى
الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلث واستاذن
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال االج فقال عليه السلام لامراة يقال
لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام
عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل
مع امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من

ابواب الدين

الدين هو عند الناس كالشريعة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك
اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو
ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعيه وفي قراءة
عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا تعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى
تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول
بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم
ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ااستاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري
ااستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال
فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا
وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا
من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا
فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان
لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا يسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما
شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون
من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد ان يكون برضاه والا اشبه
الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا ولا تلحوا في تسهيل
الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في
قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهي
عن ذلك لادائه الى الكراهية وجب الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب
بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب
من اكثر الناس وعن ابي عبيدة رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة
بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يوذن لكم وامرتم

بالرجوع فاستأذنوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد
الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه
مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق
او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت هو ذاك مستثنى بالدليل اي
الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة او انفع وانمى
خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به
فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس
بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع
المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشري والبيع ويروى
ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف
في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها
والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على
ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت
في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان
المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن
واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها
في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني
منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل
حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا
الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون
ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على
تقوى وحذر في كل حركة وسكون النساء مأمورات ايضا بغض الابصار
ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها
راسا ولا تنظر من المراة الا مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن

ومنه

ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده
ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا
يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت
لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنى ورائد الفجور
والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المراة
من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس
بابدائه للاجانب وما خفي منها كالخلخال والسوار والدملج والقلادة والاكليل والوشاح
والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل
النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر
والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها
تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع
انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان
يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت ما تقول في القراميل
هل يحل نظرها ولاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل
لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي
ما تحت السرة قلت كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا
يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا
عن هؤلاء الا اذا كان يصف البشرة لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر
الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله
ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح ان العضو كله كما فسرت مواقع
الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه
والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا
الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة
قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن

الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت
العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك
المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ولقلة توقع الفتنة ومخالطتهم
من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في
الاسفار للنزول والركوب وعن ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن
وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة
فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور
تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على
جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت
نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة الى مرطها
المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ
جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن
المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس
والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن
من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل
ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر
اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر
وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء
وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن
ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية
اترى المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يحل امساك الخصيان
واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت
روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل
فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الا

الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة
لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر
على الوصفية ووضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به
الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون
ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه
وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي
لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي
عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات
تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناؤهما فاذا راها الاب فربما
وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من
الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب
الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب
باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي
بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ
اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط
نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار
وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة
بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء
ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه
ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها
كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين
اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايائم ويتائم فقلبا
والايم للرجل والمراة وقد ام وامت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين

قال وان تنكحي انكح وان تايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقزم والمراد بالايامى
منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من
عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون
للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح
واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي
فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس
منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه وعنه
يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول
الله والاثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت
لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس
زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم
ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم
منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم
والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم
على عكس ذلك واريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون
شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء
الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه
الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب
واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر

الحاجة م

وهي مشيئته تعالى

رضي الله عنه عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث الحال
ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت في اول
امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكري تراخيت
عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير
صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق
ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة
وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون
نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال
حتى يغنيهم الله من فضله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل
عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتاميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا
على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن
ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة
المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء
بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون
مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا
فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق
ومعناه كتبت على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك
ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي
حنيفة حالا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر
العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده
بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض
لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير
وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان

بجنبه معلومة الطول والعرض او بنا دار فاذا اداه اجرها وجعتها ونما ابنايه
وان كاتبه على قيمته لم تجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لغلبة
الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطا المكاتبة واذا اعتق وكان ولاوه لمولاه
لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند
عامة العلما وعن الحسن ليس ذاك بعزم ان شا كاتب وان شا لم يكاتب
وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو
مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا
وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا
قال اتامرني ان اكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال لقوله
وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل للمولى اذا كان
غنيا ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن الاداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذ بسبب
الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير
او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم
من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع
وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى
ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه
عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان
لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة
فلا اجبر على الحطيطة كالبيع وقيل ان معنى اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب
بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت
كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله ابن ابي راس

النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن
على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت
لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن
وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان
وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن
وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ والنادر غفور رحيم
لهم او لهن او لهما ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه
في انها غير اثمة قلت لعل الاكراه دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه
بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى
تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون اثمة مبينات
هي الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود
ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت
هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه
المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة
من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة
ما وعظ به في الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
نظير قوله الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله
لنوره قولك كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى
ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق
شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد

مضيئين لنا للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأ
رض وإما أن يراد أهل السموات والأرض فإنهم يستضيئون به مثل نوره أي صفة
نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير
نافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة في قنديل من زجاج شامي
أزهر شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري
والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة أي ابتدأ
توقده من شجرة الزيتون يعني زويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
أو لأنها نبتت في الأرض التي بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم وعن النبي
عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من
الباسور لا شرقية ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون
الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها
وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير
في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما
تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة
والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص أنه
لتلألئه يكاد يضيء من غير نار نور على نور أي هذا الذي شبه به الحق
نور متضاعف تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت
حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك أن
المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع
لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل
أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا
النور الثاقب من يشاء من عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وفكر
وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة
إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه نور السموات والأرض

الله

أي نشر فيها الحق وبثه فأنارت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب
مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب إلى الدر أي
أبيض متلألئ ودريء يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودرئ كالسكينة
وعن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد
بالتشديد وتوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب
ويمسسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي في بيوت متعلق بما قبله أي
كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في
المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح
له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف
كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله
رفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وعن ابن عباس هي المساجد
أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء
ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس
وأن يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة
أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي
جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة
الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآ
صال جمع أصل وهو العشي والمعنى بأوقات الغدو أي بالغدوات وقرئ
والإيصال وهو الدخول في الأصيل أمل كأظهر وأعم التجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فإما تريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة
رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه
الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذاك مظنون وإما أن يسمى الشراء
تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما يقال رزق فلان تجارة رابحة
إذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لأهل الجلب تجر فلان في كذا

اذ اجلبة التا في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت
اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عدا الامر الذي
وعدوا ٥ وتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب
من الهول والفزع كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب
احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار
بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين
احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على
الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من
التفضل وعطا الله عز وجل اما تفضل واما عوض والله يرزق ما يتفضل به
بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ٥ السراب ما يرا
في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ما يجري ٥
والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار
وقرئ بقيعات بتا مطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم
بقيعات بتا مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع
الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب
في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه
عطش يوم القيامة فيحسبه ما فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده
ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم
عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هبا منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح
والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الما منسوب
الى اللج وهو معظم ما البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة
في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة
اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح ٥ اي لم يقرب
من البراح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من

خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب
حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تعتل ظماه بالما وشبهها ثانيا في
ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة
من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه
فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الا
لطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات
ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات
بدلا من ظلمات الاولى صافات يصففن اجنحتهن في الهوا والضمير في علم
لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعا ولا يبعد ان يلهم
الله الطير دعاه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلا
يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل
احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعما وجمعا كالرباب ومعنى تاليف
الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان
المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم
بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع
خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على
الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه
بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه
على المد المقصور بمعنى الضو والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك
سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته
وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير
بين السما والارض ودعاهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير
الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم

رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب
الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما
بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح وتبيانه ودلائل منادية على
صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فإن قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسبيح من في السموات والأرض ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر
من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك
على طريق الوحي فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية في قوله من السماء من جبال والثالثة
فيها من برد قلت الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان
للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها
وعلى الأول مفعول ينزل من جبال فإن قلت ما معنى من جبال فيها من برد
قلت فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض
جبال حجر والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من
ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز
غلب المميز فأعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل
من يمشي في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم فإن قلت لم نكر الماء في قوله
من ماء قلت لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة
أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها
هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الأكل فإن قلت فما له معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت
قصد ثم معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو
جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة
من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فإن قلت
لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو أعرق في القدرة وهو
الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع
فإن قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا

في الأمر

على وجوه م

90

في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة
مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف
مع الماشين وما أولئك بالمؤمنين أولئك إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى الفريق
المتولي منهم فمعناه على الأول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق
المتولي وحده وعلى الثاني إعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الإيمان
إيمانا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة
معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين
دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان
الموصوفون في قوله تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى إلى الله
ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله
غلسته قبل القطا وفرطه أراد قبل فرط القطا روي أنها نزلت في بشر المنافق
وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا وروي أن
المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض
فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف
علي إليه صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو يتصل بمذعنين لأنه في
معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم
لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم
الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم
أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم
الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب
منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه
بقوله بل أولئك هم الظالمون أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم
الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه
في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة إليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع

وتشهد من الفلا في أواسط والغلس الظلمة آخر الليل والتغليس السير بغلس يقال غلسنا الماء أي وردناه بغلس والفرط جمع الفارط نحو شهد في جمع شاهد وجهد في جمع جاهد والفارط السابق للاستقاء م

والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسمًا لكان أوغلهما في التعريف، وأن يقولوا
أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين، وكان هذا من قبيل كان في قوله
ما كان لله أن يتخذ من ولد، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فإن قلت إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل؟ قلت هو مسند إلى مصدره لأن معناه
ليفعل الحكم بينهم، ومثله جمع بينهما وألف بينهما، ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبًا
بينكم أي وقع التقطع بينكم، وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا، وقرئ ويتقه بكسر القاف
والهاء مع الوصل وبغير وصل، وبسكون الهاء، وبسكون القاف وكسر الهاء، شبه
تقه بكتف فخفف كقوله: قالت سليمى اشتر لنا سويقا. ولقد جمع الله سبحانه في هذه
الآية أسباب الفوز. وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها: ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل. وعن بعض
الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت عليه هذه الآية. جهد يمينه مستعار
من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها
ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه. وأصل أقسم جهد
اليمين أقسم يجهد اليمين جهدًا، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافًا إلى
المفعول كقوله تعالى فضرب الرقاب، وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين
أيمانهم. طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر، أي أمركم والذي
يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلص من المؤمنين
الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها
أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم
من هذه الأيمان الكاذبة. وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى
أطيعوا طاعة. إن الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم
لا محالة ومجازيكم على نفاقكم. صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة
الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم، يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم
أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة
فإذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول

والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه، وإن أطعتموه
فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى، فالنفع والضرر عائدان
إليكم، وما الرسول إلا ناصح وهاد، وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم
ولا عليه ضرر في توليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية، ومعنى المبين
كونه مقرونًا بالآيات والمعجزات. الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولمن معه، ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح. وعدهم الله أن ينصر الإسلام
على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل
حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى
وهو دين الإسلام، وتمكينه تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل
عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه
ونضع السلاح، فقال عليه السلام لا تغبرون إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم
في الملأ العظيم محتبيًا ليس فيه حديدة، فأنجز الله وعده وأظهرهم على
جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة
وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم
فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا، وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون
سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكًا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك
دماء وأخذ أموال بغير حقها. وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد. فإن قلت أين القسم المتلقى باللام والنون في
ليستخلفنهم؟ قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو نزل
وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم، كأنه قيل أقسم الله
ليستخلفنهم. فإن قلت ما محل يعبدونني؟ قلت إن جعلته استئنافًا
لم يكن له محل، كأن قائلًا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال
يعبدونني، وإن جعلته حالًا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال

عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة لقوله فكفرت
بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في الفسوق حيث كفروا
تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الاية دليل
على امر الخلفا الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين
امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلاة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان
طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول
تاكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض
هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض
حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهو معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير
الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا
يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول
وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشي واحد
اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على
لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله
ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان يستاذن العبيد وقيل
العبيد والاما والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة
قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب
ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد
صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت
والالتحاف بثياب النوم وسمي كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان
الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء
هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة
الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام

فلو

فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج روي ان مدلج بن عمرو
وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان
الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه
هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسما
بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف
واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت
رسول الله فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها
وعن ابي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن
ثلاث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل
فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في
محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا
نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الا
حوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتدا وخبره
على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز
ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم
اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من
قبلهم وهم الرجال والذين ذكروا في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في
الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم
خرجوا من حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم
بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع
الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا
مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس

آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي أن تستأذن علي وسأل عطاء
أأستأذن على أختي قال نعم وإن كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات
جحدهن الناس الإذن كله وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا
على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له إن الناس
لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله
ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فإن قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ
قلت قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة
العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة
أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة
الأشبار واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال
هل اخضر إزاره القواعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا
لا يطمعون فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار
غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة رينتهن لا لتعولهن أو غير قاصدات
بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن إليه والاستعفاف من الوضع خير لهن
لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله
وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم فإن قلت ما حقيقة التبرج
قلت تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج
سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن
تتكشف المرأة للرجل بإبداء زينتها وإظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر
من أخوات تبرج وتبلج كذلك كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات
إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم
منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه
حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم
من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت

لا

لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا أو قيل كانوا لا يتوقون من مجالسة الناس
ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت عينه
أكيله إليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق
على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك
وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون إليهم
المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون وحكي عن الحارث
بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا
فقال ما أصابك فقال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس
على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت
وهذا الكلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود
عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل
واحد منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في
رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج
أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر فإن قلت هلا ذكر الأولاد
قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم
نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت
التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات فإذا كان
سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى
أو ما ملكتم مفاتحه قلت أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له
أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده
وحفظه وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فإن قلت
فما معنى أو صديقكم قلت معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا
وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو وحكي عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة
من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة
وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال

هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم بين اكابر الصحابة ومن اتبعهم من البدريين
رض وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه
فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر
بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط
وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك
قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما ثقل الاستيذان وسمج كمن قدم اليه
طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او
متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل
الرجل وحده فربما نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة
وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم
وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة
بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤوا بالسلام
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره
مشروعة من لدنه لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيي
من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن يرجى بها
من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا قال لي لشيء كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع
راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي انت وامي يا رسول
الله قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم
يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد
فقل

سمج الاستيذان صح
قعد منتظرا م
مطلب
او م
لم كسرته م
من امتي م

فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا
لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية
في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع
فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله
وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما
وايقاع المومنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم
عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر
وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى
يستاذنوه وياذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له
الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او
تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير
ذلك او الامر الذي يعم بضرره او نفعه وقرئ امر جميع وفي قوله
واذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من
ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم
وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما
يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر
في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم
ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين
دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا
فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا
كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ايمتهم في الدين والعلم يظاهرونهم
ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الا

التشبيب في اصطلاح علماء القوافي ذكر البنات قبلا اختلافا الدرجات اما من تشبيب القصيدة وهو تحسينها وترسيمها بذكر النساء او من شبت النار اذا ... في تذكيره للخواطر او من شب الفرس لانه خروج وارتفاع من درجة الى درجة كما للفرس في نزوانه

ومعارفهم
تشعيث الشيء تفريقه ... الله متفرقه
ومقدميهم م
ذي

مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه اذا احتاج

رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فجمعكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا

دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا

تجعلوا تسميته ونداءه كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه

ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت

المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم

وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله

مسموعة مستجابة يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل

واللواذ الملاوذة وهو ان يستتر بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل

كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يوذن له

معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه

قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد

عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المومنين

وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير

في امره لله سبحانه في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس

فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان

جائر ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق

ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع

كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ۞ ونحو قول

زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله ۞ والمعنى ان

جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه

احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها ۞

وسينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم والخطاب والغيبة

في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين

على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر

حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي ۞

سورة الفرقان مكية سبعون وسبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر

او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين

الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم

ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى

الى قوله وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق

بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق ۞ وعن ابن عباس الضمير على عباده

وهم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم وقولوا امنا بالله وما انزل

الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة

ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير

بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له رفع على

الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز

الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته

نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى

التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره

قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره

وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى

الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك

كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير

فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث

الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا

قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه

الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شي فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه عبادة الهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شي من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز قوم اخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلا بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار جا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحا العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الما واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه ويقرا اكتتبها على البنا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقا على الحافظ كصورة الالقا على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم

وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله امرح ان ارزاق الكرام ٥ وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دايما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله وبراته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل ووقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السما يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرى فيكون بالرفع والنصب او يكون له جنة ناكل منها بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول

لولا انزل بالرفع وقد عطف عليه يلقي ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله ابن ابي اميه ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهي الرئة عنوا انه بشر لا ملك ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقا كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تكاثر خير الذي ان شا وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت الى

ايديهم

اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعالى يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت

اي التي وعد المتقون وما يشاؤون يعني التي وما

قال برأ الله الخلق برءا وهو البارئ والبرية الخلق وقد تركت العرب همزة قال الفراء فان اخذت البرية من البري وهو التراب فاصلها غير الهمز يقول براه الله يبروه بروا اي خلقه

اي لكونه مكروها غالبا او لطافة غثت اذا كان غير موافق وملائم

ما فايدة انتم وهم وهلا قيل اأضللتم عبادي هاولاء ام هم ضلوا السبيل قلت
ليس السوال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه العتاب وانما هو عن متوليه
فلا بد من ذكره وايلايه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسوول عنه فان قلت
فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسوول عنه فما فايدة هذا السوال قلت فايدته ان
يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد
حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المومنون
ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القران
لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة
حيث يقول للمعبودين من دونه اانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرون
من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت
من غير سابقة على هاولاء وابايهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها
ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برات الملايكة
والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا
منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرية وتنزيها منه ولقد نزهوه حين
اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب
به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في
قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان
يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى اانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم
ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل
الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر ذلك
بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سوا كان منه فعل
او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملايكة وانبيا معصومون
فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك
ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم

ان يضلوا عباده ام قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي
او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى
احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي
لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال
الله تعالى فقاتلوا اوليا الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياوهم
الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ على البنا للمفعول وهذا الفعل اعني
اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك
اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم
خليلا فالقراة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اوليا والاصل ان نتخذ اوليا
فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول
ما بني له الفعل والثاني من اوليا ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اوليا وتنكير اوليا
من حيث انهم اوليا مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به
او القران والشرايع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان
يكون جمع باير كعايذ وعوذ هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة
رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جا
من بشير ولا نذير وقول القايل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول
فقد جينا خراسانا وقرى تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم
بقولكم ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا فان
قلت هل يختلف حكم البا مع التا واليا قلت اي والله هي مع التا كقوله
بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون
وهي مع اليا كقولك كتبت بالقلم وقرى يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني
فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل
الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم
العذاب او يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير

لاحق من ظلمه والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير
مصدر يظلم الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا
من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور يعني من المر
سلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد
وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون
لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلعم على ما قالوه
واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر
الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس
ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم
الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر
الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا
عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك
اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية
له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه
جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء
ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز
وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك
فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل
كان ابو جهل والوليد ابن المغيرة والعاص ابن وائل ومن في طبقتهم يقولون
ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا
علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اي لا يأملون لقانا بالخير

لانهم كفرة او لا يخافون لقانا بالشر والرجا في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله
تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كانوا ملاقيه اقترحوا
من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه
او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بالله
بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم
بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات
سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه
انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما
قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا
علينا فلان وقد وصف واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة
في حسن استوائها غاية وفي اسلوبها قول القائل وجارة جساس ابانا بنابها
كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب الا
ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب
يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة
يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر
يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما
ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره
سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها
نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو
موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه
ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه
لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسال الله
ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف
فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض

الرجاز. قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر. فان قلت فاذا ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد
معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية
انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم
القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا
عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل
هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن
مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال
قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد
الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا
عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل
من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع
به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر
وذهب كل مذهب ونحوه كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف
حتى جعله موصوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث
لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين
للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي يكونون
فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه
للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين
في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من نصف ذلك فيقيل اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير
الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واستراحتهم

الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به
مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين
وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق
السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول
شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله والسماء منفطر به فان قلت
اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى
انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة
ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام
الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء
سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل
الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة وننزل
وننزل الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة
على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراه اهل مكة الحق الثابت لان
كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل
والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن
الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف
فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند المكني عنه وقيل نزلت في عقبة
ابن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله وقيل
اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة
قال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت فشهدت
له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا
فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة

ففعل ذلك فقال له رسول الله لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري
وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله ابيا باحد فرجع الى مكة
فمات واللام في الظالم يحتمل ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون
للجنس فيتناول عقبة وغيره يتمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا
وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى واراد اني كنت لم يكن لي
سبيل قط فليتني حصلت في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو
الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما
قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية
عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه
وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة
فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول
ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة
الى الخليل سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في
العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم
خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان
الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت تقرا على الادغام
والاظهار وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش
حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه
لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا
ثم اقبل عليه مسليا وهو ... عليهم فقال كذلك كان لكل نبي
قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
منهم وما مر لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني

شيء بينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين
احدهما انهم زعموا انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم اذا سمعوه هجروا
فيه لقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى
الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يحتمل ان يكون واحدا وجمعا لقوله
فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة نزل هاهنا بمعنى انزل
لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اباطيلهم واقتراحاتهم
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة
في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون
قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر
الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب
لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان تقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه
لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي
عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت
حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين
كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة
وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين
ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت
ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة
فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة
معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا ان ياتوا بنجم
واحد من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة
وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه
حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي يتعلق به كذلك كانه قال
كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان فرقه آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة
ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا

اي انزله بترسل وتثبت ومنه حديث عايشة في صفة قراته لا كسردكم هذا
لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله
مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه
في مدة متقاربة ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل في
البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى
ومؤدى من سوالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام
وضع موضع معناه فقالوا تفسير الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا
او ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو
ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران
جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما
هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا
وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل منها شي ادخل في الاعجاز
وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته
مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضللون
سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين
على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد
المجازي الحكمي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلثة
اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا
الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا ويومرون بان
يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة بطرفيها

فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم
وقرئ فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله
من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل
اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للعالمين اما ان يعني
بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم
بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم
الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس انهم كانوا قوما عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواشي
فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه
فبيناهم حول الرس وهو البير غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود
قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة ابن صفوان كانوا مبتلين بالعنقا وهي
اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له
فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو
الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه
في بير اي دسوه فيها اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشيا مختلفة ثم يشير
اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على
معنى فذلك المحسوب او المعدود ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة
من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبيا واجرى عليهم من
عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار
الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال
وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم من قرى
قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله تعالى منها اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء

الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت
بالحجارة من السما افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله
ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا
موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا
بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب
اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل
اتخذه موضع هزء او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث
الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار
سخرية واستهزا ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من
عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع
عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين
الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان
يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد
ليضلنا لانه نسبة ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة
الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان
فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى
معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على
الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله
وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد
الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه
منقطعة معناه بل احسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت

بالا

بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاستماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع
الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة
ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها
قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا
زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم
من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان
قلت لم جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها
وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون
للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع
ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو
شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم
ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى
كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على
احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس
يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر
ولو قبضه دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت
ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني
اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد
ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنا السما كالقبة
المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فيئانا ولو شاء لجعله ساكنا
مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل ونصبها دليلا متبوعا

له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخه بها
فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة
بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه
كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله
يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس
الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو
الذي يتوفاكم بالليل فإن قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته
يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق
فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس
من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وتشبيههما بالموت والحياة أي عبرة
فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف
نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة
مليحة أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان
طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة
كان سديدا ويعضده قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس
فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم
غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به
منه طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت
طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام
لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة فإن قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم
الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة
أو لم يتغير أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك
أنه ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور فإن قلت فما تقول في قوله
عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما
غير

غير طعمه أو ريحه قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين
وإنما قال ميتا لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه
غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ ونسقيه بالفتح وسقى
وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا الأناسي جمع إنسي أو إنسان ونحوه
ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف
لحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم فإن قلت إنزال الماء موصوفا بالطهارة
وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني
الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة
ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن
من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها ويتنزهوا
ثم في ظواهرهم وأن يربأوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم
ربهم فإن قلت لم خص الأنعام من بين سائر ما خلق الله من الحيوان الشارب
قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف ولأنها
قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم
كالإنعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها
بالكثرة قلت معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من
الأودية والأنهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير
منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي
به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فإن قلت
لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على الأناسي قلت لأن حياة أرضهم وحياة أنعامهم
حياة لهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا
لأرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن
وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب
وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى
أكثرهم إلا كفورا إلا أن يكفروا ويجحدوها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر

سهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل
وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا
صنع الله وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده
على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب
في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه
بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب
الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي
والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب
الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها
وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل
ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا
تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة
الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك
فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم
وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع
الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه
نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير
مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده
من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا
كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات
البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين
متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم
اقتداره في كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما مع
بالاجاج ممزوج

برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية
وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا
بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين
يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما
على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما
في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها
على البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق
من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى الظهير والمظاهر كالعوين
والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان
على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير
الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد
بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله وقيل معناه
وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا
مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو
قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا
من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد
سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا
المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره
هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع
في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب
والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا
ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان مع المبعوث اليهم بهذا التشديد وتوقفه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم
عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل
الله امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة
التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرّفه ان
الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الاحياء
الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها
لمخلوق ثم اراه انه ليس من امر عباده شيء آمنوا او كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في
جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ
نهار ولا ليل وقيل ستة ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا
وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها الجمعة ووجهه انه سمى الله تعالى لملائكته
تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على
ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة
دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا
بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة
الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر
والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود
والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق
وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب
ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها
في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل
اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ خبره او هو
صفة للحي والرحمن خبر لمبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن

بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فسل والباء في به صلة سل كما في قوله سأل سائل بعذاب واقع
كما تكون عن صلته في قوله لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى
به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل تريد فسل عنه رجلا عارفا
يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك
رايت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء
تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن
ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال
له رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا
يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه
لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا
اطلاقه على الله تعالى لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على
قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد
لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا
للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور
والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب
كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس
لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار
معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر
منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف
بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق
بالرحيق السلسل ۝ يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر
كالرشد والرشد والعرب والعرب خلفة من خلف كالركبة من ركب
وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما صاحبه والمعنى ذوي
خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار

يخلفان كما يقال يتعقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان
خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذّكّر ويذكر وعن ابي
ابن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال
الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر
الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال
عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما
ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رحمة الله عليه من فاته
عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن
فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن مبتدأ خبره
في آخر السورة كأنه قال وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك
يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا
وتفضيلا وقرئ وعُبّاد الرحمن يمشون حالا او صفة للمشي بمعنى
هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون
الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون
اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار
وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله ويمشون في الا
سواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر
اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء
الرعة من قوله ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء
وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع
البيتوتة ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة

وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان
بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل
صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار
ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان
يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء
الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع
اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم
يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا
ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز
ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او
تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام
الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف
التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض
الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو
بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق
في المعاصي واما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الا
سراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر
عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم
وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام
اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن
حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد
الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا ايضا مما اعده وقيل
اولئك اصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا

للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم
ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله
عنه كفى سرفا ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل
بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام من الاستقامة
السوا من الاستوا وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشي يقال انت
قوامنا اي ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين
ذلك قواما جايزان ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما
مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا موكدة واجاز الفرا ان
يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وهو من جهة الاعراب لا باس به
ولكن لمعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس
في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة حرم الله اي حرمها الله والمعنى
حرم قتلها الا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي
هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين
للتعريض بما كان عليه اعدا المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل
والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه
الواد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تصديقه
وقرئ يلق اثاما وقرئ يلقا باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء
الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث
امسى عقوقا والعقوق له اثام • وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزا اثام
وقرا ابن مسعود اياما اي شدايد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف
عطف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا •
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وقرئ يضعف له العذاب بالنون ونصب

العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك ويخلد وقرئ ويخلد على البنا
للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات
يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب
وابدال الحسنات سيات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك
عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب
عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها ويثبت مكانها الحسنات ولا
يمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل
المشركين وبالزنى عفة واحصانا من يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل
في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا
للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب الى الله متابا الى الله الذي يحب
التوابين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين •
وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن
الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي
مرجع يحتمل انهم يشهدون • وعن مجاهد الكاذبين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها
ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه
لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه
الشريعة هم شركا فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به
وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلطه على فعله هو استحسان
النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه
اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية
اللهو والغنا وعن مجاهد اعياد المشركين والمعنى اذا مروا باهل اللغو والغنا
اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو المشتغلين
به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
لقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم

لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا اسمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا
عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول
لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها
اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها
سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها
فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد
على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها
كالمنافقين واشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين
سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم
وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب
الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم
سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس
كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد اجعل كل واحد منا اماما او اراد
جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحاد ديننا واتفاق
كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب
ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت
من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل
هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا
ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا وان
تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح
فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير
القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب
لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين

وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين المراد
يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال
على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات امنون وقراه من قرا
في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار
ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه
وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما
التحية دعا بالتعمير والسلام دعا بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد
مع السلامة من كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك
وارزقنا مما يرزقون فيهم في دار رضوانك لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم
وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم
في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبا بهم واعلى ذكرهم
ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس بجزم
لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى
اخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده
شيئا يبالى به والدعا العبادة وما متضمنة معنى الاستفهام وهي في
محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا
دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء لولا عبادتكم وحقيقة
قولهم ما عبات به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبا
علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني
وقال الزجاج في تاويل ما يعبا بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده
ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي انني
لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم
اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك

لمن استعفى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت
فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه
هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون
فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون
وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم
كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه
الوصف والله اعلم بالصواب ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة
بغير حساب ٥ سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخر السورة
وهي مايتان وسبع وعشرون اية وفي رواية ست وعشرون ٥

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار
النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد
به السورة او القران اي ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب
المبين البخع ان تبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما
فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم
او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الا
يمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا
لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقرئ لو شئنا لانزلنا
وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق
قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور
او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين
وقيل

وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل هم الرؤس
والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات
الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة
وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله
بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا وكفرا به فان قلت لم خولف
بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما
خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به
فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا
للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا
به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب
الله يوم بدر ويوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القران وسيا
تيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات
بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في
حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق
الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم
المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في ذلك الانبات لاية على ان منبتها قادر
على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم
وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وامن وعمل صالحا
فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم
قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان
هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته
فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات
على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات
النافع وخلى ذكر النبات الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره

ووصفهما جميعا بالكرم ونبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فايده لان الحكيم لا يفعل
فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها
العاقلون فان قلت حين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة
وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال
ايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال
ان في الانبات لاية واي اية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد
سبقت لهذا الوجه نظاير سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين
ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما
عبارتان تعتقبان على مودى واحد ان شا ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين
وان شا عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم
انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرايل باستعبادهم
لهم قرى الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت لاجتماع النونين
والياء للاكتفاء بالكسر فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو
كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم
تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب
وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا
من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة
الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم
كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصايه والجاني حاضر
فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه
واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من
الناس فان قلت فما فايدة الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام
في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم
المرسل اليهم في معنى اجرايه بحضرتهم والقايه الى مسامعهم لانه مبلغه
ومنهيه

ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم
من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها
واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان
على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع
يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق
اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب
تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف
انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف
به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر
والحبسة في اللسان زايدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت
به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا
يرده الرفع لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت
يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير
الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحا المصاقع
الذين اوتوا سلاطة اللسان وبسطة المقال وهارون كان بتلك الصفة
فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هارون هو افصح مني لسانا
ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد
به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن
في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجا بما يتضمن معنى الاستنبا
ومثله في تقصير الطويلة والحسن فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فدمرناهم تدميرا اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما
الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة
كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة فبعث اليهم
رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام

ان يأمره الله بامر لا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم
ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه
حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره
فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على
تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون
دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز
فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل
فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء
السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيد
للعذر في التماسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع
للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه
ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين
معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن
الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي
طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل
الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون
وقوله انا معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر
الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما
واكسر شوكته عنكما وانكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون
مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت اجعلت مستمعون قرينة معكم
في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع
قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى
الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع
الى حديثه اي اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع
الى

الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فان قلت هلا ثني الرسو
ل كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول بمعنى المرسل وبمعنى الر
سالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى
الرسالة فجاز التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع كما يفعل
بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الشاعر الكني اليها وخير الرسول اعلمهم
بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد
كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد
لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك
وللاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا
ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال كما في المناداة [illegible]
ويجوز ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد
خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا
الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه
رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة
فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم
لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب
عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم لبثت فيهم
عمدهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم
على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي
لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة
واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى
على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين ويجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين
بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل
امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عاصم من يريد ان يستنبئه

بكل كبيرة ردمن بعض التعاتب بينهما بالكفر ويجوز ان يكون نعى له وانت
من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم
لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته
او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد
لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة
انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين
والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف
لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل
خطا من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان
تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف
بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل
من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من
اصله واستأصله من سنخه وابى ان تسمى نعمته نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه
تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب
في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت
وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته
عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان
فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع
جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي
بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته
كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في
منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا
منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك
اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة
شنعاء

شنعاء مبهمة لا تدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم
لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب
العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت
وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس
بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء
ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة
ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا
بافعاله على ذلك واما التفتيش عن الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش
عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون
ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه
لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية
الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما
ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة
هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع
قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين
فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا
الجواب والا لم ينفع وان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره
وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات والارض وما
بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك
وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم
وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين

من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة ومن حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل الواو في قوله اولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق فان قلت ما العامل في حوله قلت

هو

قوله الرسولكم في موضع المفعول لقوله عارض

الشعوذة خفة اليد

قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الاههم ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى

الباهت البهتان المتمحل المحتال

ساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فقرئ
نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله إن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته
عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا ومدخلا في حكمه دخلت إذا قارة
في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الثواب على سحرهم
الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى أقسموا بعزة فرعون
وهي من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله لا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله
معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وقدرة
الله وعزة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا
وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية
نسيت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها
وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به
فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ما يأفكون ما يقلبونه
عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم
وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأ
شياء إفكا مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب
وإن يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا
أنه من عند الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن
الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع
مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض
ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به
قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من
المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى
وهارون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية
فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه

هذا والذي أجرى على أيديهما ما أجرى فلسوف تعلمون أي وبال ما فعلتم الضير والضر
والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في
الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة
أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من
أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا
إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان
وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا أن كنا معناه لأن كنا وكانوا أول
جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ
إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين
أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي
ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه
أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر إنكم متبعون
علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير
أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا
مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك
الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه
وروي أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا
بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع
لكم ثم أسر بعبادي إلى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف
وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت
مقدمته سبعمائة ألف [illegible] على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس
خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا
ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين إن هؤلاء محكي بعد قول
مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع

قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل
حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة
وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم
لقلتهم لا يبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور
فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى
اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون
بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل
المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين
القوي قال أحب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر
اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح وعن مجاهد سماها كنوزا
لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس
البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة اوجه
النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف
لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين
طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون
بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى
بل ادّرك علمهم في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة
أبعد بني امي الذين تتابعوا أرجّي الحياة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد [illegible] كالجبل العظيم المنطاد في
السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني
اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر
وقرئ وازلقنا بالقاف اي اذللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان
يجعل الله طرقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء
ابن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل
ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى
موسى الى البحر قال مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر
امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى
الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي
ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى
هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك
يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا
البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية
اية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم
ولا امن بالله وبنوا اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء
قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو
العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه وكان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم
انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق
جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس
ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال
ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤا بقصة امرهم
كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه
من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على
قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله
ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي واجر ذيله
بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد

في يسمعونكم من تقدير حرف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمِعونكم أي هل
الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعًا مع إيقاعه في إذ على
حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت لما أجابوا بجواب
المقلدين لآبائهم قال لهم رقّوا أمر تقليدكم إلى أقصى غاياته وهي عبادة
الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانًا على الصحة
والباطل لا ينقلب حقًا وما عبادة من عبد الأصنام إلا عبادة أعداء الله ومعنى
العداوة قوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا ولأن المغري
على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال عدو لي تصويرًا
للمسألة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو
فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها
نفسه أولًا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح
به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث
على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في
باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل
فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما حكي عن الشافعي رحمه الله عنه أن رجلًا
واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجل ناسًا يتحدثون
في الحجر ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة
قال وقوم أراهم على ذوي ضبرة أراهم عدوًا وكانوا صديقًا ومنه قوله
وهم لكم عدو شبهًا بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل
إلا رب العالمين استثناء منقطع كأنه قال لكن رب العالمين فهو يهدين
يريد حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك بالهداية المتصلة التي لا تنقطع
إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن يغتذي بالدم في [illegible]
ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية
الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال مرضت دون

أمرضني لأن كثيرًا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه
ومشاربه وغير ذلك ومن ثمة قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء
معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم
وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا
يطلب لها الاستغفار فإن قلت إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة
فما بال العاتب لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له قلت الجواب ما سبق لي
أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله أطمع
ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفًا لهم في اجتناب المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فإن قلت لم علق مغفرة بيوم الدين
وإنما تغفر في الدنيا قلت لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا تعلم
حكمًا حكمة أو حكمًا بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو
حكم بين عباد الله وألحقني بالصالحين لأن يوفقني لعمل ينتظم به في جملتهم
أو يجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين
ولا تخزني من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهي الحياء وهذا أيضًا من نحو استغفارهم
مما علموا أنه مغفور يوم يبعثون ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين
وأن تجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون
وأبي فيهم إلا من أتى الله إلا حال من أتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع وما ثوابه إلا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال
وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات
سلامة القلب له بدلًا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب
سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه
ولك أن تجعل الاستثناء منقطعًا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو
الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى

الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم تجرد المضاف لم يتحصل
للاستثنا معنى ويجوز ان يجعل مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه
مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع
ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب
سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة
محله في الاخلاص ان حكى استثناه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له
في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم
السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم
واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم
اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على الهتهم فابطل امرها
بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره
واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسلة في نفسه
دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من
لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك
ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم
القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة
على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون
قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها
والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون
اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى
منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين
الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اى الالهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير

في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه
اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها
يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن
ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة
والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن
جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى
المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق
في الاخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم
شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا
في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا
بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من
الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة
الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت
جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم
معرفة واما الصديق وهو الصادق الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق
وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت
لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على
اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة
ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب

بالحاجة بينهم ... وحيلتهم ومنه بيت الحماسة • لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا • كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد صلوات
الله عليه وسلامه في قريش وأطيعون في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق وعليه
على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا
الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل
واحد منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه
عنهم وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال
والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الأرذل على الصحة
وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وإنما
استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل
الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت
قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الأنبياء كذلك
حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان
عن أتباع رسول الله فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء
كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن
مقاتل السفلة وما علمي وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم
لله والاطلاع على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم
في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما
حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم نوح
عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال
وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا
اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم
عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز
لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد
بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم

نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما أنا بطارد المؤمنين يريد
ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين
صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما علي إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان
الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ليس هذا بإخبار
بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني أدعوك عليهم
لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني
في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم
لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة
وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل
والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما
أخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد فلك
وفلك ونظيره بعير هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز
والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ
بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس •
في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل • ومنه قولهم كم ريع أرضك
وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا
في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم
وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم
حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا
وإذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل
ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون
متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها
مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم
بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته

وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على العقاب والثواب
فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد فان قلت
كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها
فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس
المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو
الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به
اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا
خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب
ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق
الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي
نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر
او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله
ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم
لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون
فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما هاهنا في الذي استقر
في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال
ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل
اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون
الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل
قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد
دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد
بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي
التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم
كشح هضيم

كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفا وكذلك طلع البرني
الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه
لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم
اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل
الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه
قال ونخل قد ارطب ثمره قرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين
والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر
وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد
الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت
ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت ان فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح
كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر
كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر الشرب
النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي
انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح
يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت
الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك
عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان
الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجأها
الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار
وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على
المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت
لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين لكن ندم
خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور فاسدا

ويبني عليه ندمهم وتحسرهم كندامة الكسعي وتدعوا أنهم تائبين وأكثر في
غير وقت التوبة حذرًا للعقوبة معاينة العذاب وقد قال عز وجل وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقد كانت ندامتهم على ترك الولد وهو
بعيد واللام في العذاب إشارة إلى العذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس
أي أتأتون من بين أولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة
إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم
أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط
وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح
من الحيوان من أزواجكم تصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض
ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم
ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي
المتعدي في ظلمه المتجاوز الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية
على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل
أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة
لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين
أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ
حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا
بعض من يغضبون عليه كما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين
أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال لأنك إذا قلت فلان من العلماء فقد قلت أبلغ
من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعرفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلا
البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم
المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد يكون حبه للذين
في دين الله حتى يغرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية يعملون يحتمل
عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة وأن [illegible] فما

معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك
إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة
والراضي بالمعصية في حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب
لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل
وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت
في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت
تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك
غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة
والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة أمطر الله على شذاذ
القوم حجارة من السماء فأهلكتهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا
من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو
للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها
وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم
بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة
ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه
وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولى
على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة
واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر
ملتف وكان شجرهم الدوم فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر
المواضع قلت قالوا إن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث أن شعيبا
أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد
فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد
وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه
قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فإن كان من
القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل

هو بالرديئة الحزل نُبالك بخسته حقه اذ انقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو
عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف
منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا والعثي في الارض نحو الغارات وذلك نحو
قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد
فنهوا عن ذلك وقرئ الجبِلّة بوزن الأبُلّة والجِبْلة بوزن الخِلْقة ومعناهن واحد
اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال
الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون
مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه
مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف
تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك
ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا
والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كِسْفا
بالسكون والحركة وكلاهما جمع كِسْفة نحو قطع وسدر وقيل الكِسْف والكِسْفة
كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان
طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق
لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان
يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما
تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل
وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم والمشيئة فاخذهم الله بنحو ما اقترحوه من عذاب الظلة
ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى
انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين مدين واصحاب
الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت لم

ثم م

الومد شدة حر الليل م

اصحاب م

اصحاب م

كل قصة واخرها ما كرر م

كرر في هذه السورة في اول القصة وآخرها قلت كل قصة منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار
مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بمثل ما افتتحت به صاحبتها وان
تختتم بما اختتمت به صاحبتها ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها
في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه وكلما زاد
ما يراد تحفظه وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر
وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق
وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد
والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل
او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه لتنزيل يعني ما نزل من هذه
القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح نزل به على
قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى
سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين
انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم
السلام واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه
لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا
ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله
بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه
وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع
اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات
فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني
الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك
اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها
فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القرآن يعني
ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيه وبه يحتج لابي
حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على ان القرآن

القراءة م

وانه م

ونزل به الروح على القرآن للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح م

نظم م

وان القرآن م

قوله ويكون مع نصبا لآية الى آخره وذلك لان المراد ما يعلم الآية كقولهم من كان أمثل والامانة لوقوع الخبر موقعا

قرأ ان اذا انزح بغير المعرفة حيث قيل والله لئن زين الا ولئن اكون تعالى فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه [illegible] قرئ بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسمها وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط على لغة من يميل في المصحف علموا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربو الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا [illegible] بكلام مثله وانضم الى ذلك علماء اهل الكتب المنزلة [illegible] البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت [illegible] وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلقاء محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم [illegible] الحسن العربية فقلنا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه

وقف

ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى اذا قالوا هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع قوله لا يؤمنون به من سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لبيان انه مكذب مجحود في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة بغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة

ولإلجاء إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم
يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده
وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق
بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال عز وعلا أفبعذابنا
يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال هب
أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد
ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون
بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده
على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف
منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر
متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في
منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم
ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى
أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو
أن ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين
إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير
ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا
ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم قلت الأصل
عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة
بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون إن محمدا
كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا
بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون
بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطين
الشياطون

الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري
الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون
كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطين وفلسطون وحقه
أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط
الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجاءين فقال النضر
ابن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول
الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا
وقد سمعا فيه   قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد
الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما
أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة
ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي عنه عليه الصلاة
والسلام لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب
للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي أنه صعد
الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله
إني لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي أنه جمع بني
عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة
ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا
ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا
أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا
أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر
ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين

العس القدح العظيم والقعب القدح الصغير

... اني لا اغني عنكم شيئا الطاير اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر
جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول
بعضهم ٭ وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن
التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون المتبعون
للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم
قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين
المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما
جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين
او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين
من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض
لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك
بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره
وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد
التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف
اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان ان
يجعل في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على
رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما نفعله في جوف الليل من
قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم
من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف
يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل
الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من

دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه
يراك حين تقوم الى الصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه
فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال
ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني
فتلا له هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله
وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع
والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم
وقرئ ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبية كشق وسطيح ٭
ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم
يسمعون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا
عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم
السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشيا
طين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس
واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني
فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب ٭
فان قلت لم دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والا
ستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول
على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين
معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف
الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل
اهل قال ٭ اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم ٭ واذا ادخلت حرف
الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من

تنزل الشياطين كقولك على زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت
يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل
الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف
كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك
قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا
ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما
يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن
وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معناهن
ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك
على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها
ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل
عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء مبتدا ويتبعهم
الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم
وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب
بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب
على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل
الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب
المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون
اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب
والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم
بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في

كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد
القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات
وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد
درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين
الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر
واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد
والاداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني
التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم
على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه
الله تعالى ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك
منه فيما لا باس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام
وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن
رسول الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل
وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما
لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد
المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين
ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر
لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها
ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير
من ان تامن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها

ان الذين ظلموا اطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل الحذر بين عينيه فلم يغفل
عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب ۝ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد
من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وعلى جميع الانبيا ۝

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون وقيل اربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك
اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه
كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن
وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان اعجازهما
ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل
التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت
لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى
في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن
اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو
قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق
لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات
ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين
بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان
قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت
لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك
على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب
فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما
نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم

هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة
والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هي هدى
وبشرى وعلى البدل من الايات وعلى ان تكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها
ايات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في
هداهم قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم
بالاخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة
الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وتكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون
بالاخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا
الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء
الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل
المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى
الشيطان حقيقة واسناده في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت
بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى
الله مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى
الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم
بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم
ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما
يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك
اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم واباءهم
وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى
يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض
الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله
فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون
حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط

فقال وانت الناس عمهين ان الذين يرددون في اعمالهم ... لهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهدا على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه والمنصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجا على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة ان هي المفسرة لان في النداء معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ... ومن حولها بورك من في النار ومن حول مكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض

ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث اثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبيا صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احيا وامواتا فان قلت فما معنى ابتدا خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرا الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقا الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه الا لا يخاف لدي المرسلون والثاني
لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك
ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط
من ادم ويونس وداود وسليمن واخوة يوسف ومن موسى عليه السلام وهو من
الغريبات التي تلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبيح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف
التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات كلام مستانف
وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات اي في جملة تسع آيات
وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا
والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها
وهو في الحقيقة لمتاملها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم
فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان
يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر
فتهتدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء
وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصائر
كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مَبْصَرة وهي نحو مجبنة ومبخلة
اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها انفسهم واو الحال
وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع بما جاء به موسى كقوله
فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا
عابدون وقرئ عُليا وعِليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر
الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والا
ستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم
من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر

وسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة من العلم او علما سنيا غزيرا
فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر
قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم
وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما
علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي
فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما او من لم يؤت
مثل علمهما ومواهبهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل
على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل
النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال
والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة
الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من
اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على
ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم
انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس
افقه من عمر ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة
عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمن اقضى واشكر لنعمة الله قال يا ايها
الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من
عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد
وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم
وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته
والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه
واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال
لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة
فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا

وصاح طاوس فقال كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح
خطاف فقال قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى
ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر بسبحان ربي الاعلى وقال الحداء يقول كل شي
هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش
ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع
يقول سبحان ربي القدوس واراد من كل شي كثرة ما اوتي كما تقول
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شي تريد كثرة قصاده ورجوعه الغزارة
في العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شي ان هذا لهو الفضل
المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا
اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين
قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون
يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على
صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل
الملك وتفخيمه واظهار ايينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك
واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه
وفد واحتاج ان يرجح في عين عدوه الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان
حتى تمر عليه الكتائب وروي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة
فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون
للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلاثمائة منكوحة وسبع مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد
عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فالانبياء على كراسي الذهب

والعلما

والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله
الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به
مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء
تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك
لا يتكلم احد بشي الا القته الريح في اذنك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد
اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال
انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها
الله خير مما اوتي ال داود يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي توقف سلاف
العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك
للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى
قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف
الاستعلاء كما قال ابو الطيب ◦ ولشد ما قربت عليك الانجم ◦ لما كان
قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على
الشي اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي
لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرى نملة يا ايها
النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل
والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل
كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس يا ايها النمل الاية فسمع سليمان كلامها من
ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة
فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله
حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى
فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت هذا
فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال
نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز
بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرى

مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها
واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل
اجري خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل
ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوّز ان يكون
بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينّك هاهنا
اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها
ومعنى فتبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه
قد تجاوز حدّ التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبيا واما ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في
وصف ما وجد من الضحك النبوي والا فبدوّ النواجذ على الحقيقة
انما يكون عند الاستغراب وقرى ابن السميفع ضحكا فان قلت
ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها على رحمته
ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك
قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت
احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في
الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما
انعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه طلب التوفيق لزيادة العمل الصالح
والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفّه
وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر الوالدين
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى
الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين
لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة
احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء وامر سليمان عليه السلام
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة
ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة
ام

ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى
انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم
انها لإبل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تمّ له بناء بيت
المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل
يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة
ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء
وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان
يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان
حلّق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني
عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد
العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال
لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك عليّ الا رحمتني فتركته
وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او
ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض
تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب
بما احتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف
ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله
وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة

الامداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة
اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك
لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح له ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره
من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتيني والسلطان الحجة والعذر
فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشيا فحلفه على فعليه لا اشكال فيه ولكن كيف
صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله
ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل
كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعا دراية على
انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين
فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث قرئ بفتح الكاف
وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر
المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان
ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام
الطاء في التاء وبغير الطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام
على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات
الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط
علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له
في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما واعظم بها فتنة والاحاطة بالشي علما
ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول
الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف
ومنعه وقد روي بسكون البا وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم
ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف
ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف ... سبا الحاضر ... ما زاد ... بنونه ... دون
سيله العرم

وقال الواردون وتيم في ذرا سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت
مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل
ان يراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا يقين من جنس
الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط
ان يجي مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد
جاء هاهنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان
بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال المراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن
كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي
وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به
القوم فالامر ظاهر وان اريد به المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف
عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين وكان ثمانين
وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر
واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت
كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان يستصغر
حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله
وان عظمت مملكته في كل شي كما يكون لبعض امرا الاطراف شي لا يكون
مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من
يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان
وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها
فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شي
مع قول سليمان واوتينا من كل شي كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين
لان سليمان عطف على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى
ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا
وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللايقة بحالها

فبين الكلامين فرق بين فان قلت كيف خفي على سليمن مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعا ومارب قلت لعل الله تعالى اخفى ذلك عنه لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يسجدون ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين ها وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبو بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه عز وجل من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراة ابن مسعود ومالك ابن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء نقل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراتين جميعا ام في احداهما

قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفه والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفه سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان شا وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابنا جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول يقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك عظيم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمن

وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمن وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمن
وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمن ويجوز ان تريد
لانه من سليمن ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره باسم
الله وعن ابي ان من سليمن وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة
ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو
وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى
بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني
مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع
الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب
وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل
من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس
ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة
كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت
وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين الفتوى
الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد
بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي
والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم
استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا
فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان
اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف اراد
بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والباس النجدة والبلاء في الحرب والامر
اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا
نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي
والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين نتبع رأيك لما

رفرف الطائر اذا حرك جناحيه حول الشيء لم يقع عليه

لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء
بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه بان
الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي اخربوها ومن ثم قالوا
للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم
المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو
ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد
وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج
له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية
اي مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع حتى
اعمل على حسب ذلك روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك
في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت
رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت
ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك
في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن
الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر
والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم
خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من
جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش

وقوله وَدَعا بالماء ... ذكر الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في تفسيره قال السدي امرهم بالوضوء
فجعل الرجل يحدر الماء على اليد والرجل حدرا وجعل الجواري يصببن من اليد اليسرى على اليمنى ومن
اليمنى على اليسرى فميز بينهم بهذا وعن سعيد بن جبير انه عليه السلام امرهم بالوضوء فتوضؤا
... منهم فبدا بمرفقه قبل كفه فالهم الاناث ومن بدا بكفه قبل مرفقه فالهم الذكور

والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا ابهتهم الدواب
تروث على اللبن فتصاغرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ثم لما دفعوا اليه بريته
نظر اليهم بوجه طلق وقال لهم ما وراكم وقال ابن الحق واخبره جبريل بما فيه فقال
لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت منها فجعل
رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضا الخيط بفيها ونفذت منها فجعل رزقها
في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعل في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
وقال للمنذر ارجع اليهم فينا لن هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في
اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني
وقرئ بحذف اليا والاكتفا بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون
واحدة اتمد وفي الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطى فتضاف
الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها واهديت
اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ما عندي خير مما عندكم
وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا
ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم
لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى
اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشي ولا افرح به
الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال
وانا اغنى منكم وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي
عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال
واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما
لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه
ورد قوله فما آتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم
الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم
عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا

التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى
بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم
قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم
من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد
محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون
ان يقابلوهم وعن ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل
ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر
واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى
انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في اخر سبعة
ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور لها وغلقت الابواب ووكلت به
حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من
عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء
العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت
لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته
ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية
والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه
ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله
امين آتي به وهو كذا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب رجل
كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شي
الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن
وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم
وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه
استبطا العفريت علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع
وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل ... ومعين ...

واسم فاعل الطرف لحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا
بارسال الطرف في نحو قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك
انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف
قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن
ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام
بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجي
به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما
اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عب الواجب
ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر
قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين
ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها واستدع
شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله
متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من
يكفر نعمته والذي قاله سليمن عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه
جري على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة
القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل
الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس
لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله ننظر
بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب
اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك المعجزة البينة
من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا
ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك
ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو
ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من

كلام سليمن وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان
المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمن
وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد
اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام
وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر
وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم
بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا
لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام وصدها عن التقدم
الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون
من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة
سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند
وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت
فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير
حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح
القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير ساقيها بالهمزة ووجهه انه سمع
سؤقا فاجرى الواحد مجراه والممرد المملس وروي ان سليمان امر قبل قدومها
فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب
البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير
والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته
وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم
لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجمع له فطنة الجن
والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في
عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير
العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير

وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان
وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وبينون
ويزورها في كل شهر فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع
ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى
له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم
وقيل حسبت أن سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان
وقرئ أن اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء فإذا هم فريقان فريق مؤمن وفريق
كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد يختصمون
يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى
استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما
قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت
على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت
وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم
ثم قال لهم لولا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها
لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا
فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا
الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته
أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله
لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي
تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال
طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو
قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب
عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم
وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير
به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم

الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة المدينة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة
بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر
أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة
إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب ٥ غنم بن غنم ٥ رياب بن
مهرج ٥ مصدع بن مهرج ٥ عمير بن كردبة ٥ عاصم بن مخرمة ٥ سبيط بن
صدقة ٥ سمعان بن صفي ٥ قدار بن سالف ٥ وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ولا يصلحون يعني أن شأنهم
الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد
يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال
بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والنون
فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون
خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو
ليلا وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق
الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم
من أهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فإن قلت كيف يكونون
صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت
كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم
قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا
البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند
الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم
قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق
في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما أخفوه من تدبير
الفتك بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه
بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر
في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه

ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء بلى فتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم من تاتي ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستره

او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت

الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهور احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده توطئة لما يتلو وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل موعظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على هلاك كفار الامم والصلاة على الانبيا واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم ومعلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شي ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شي الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه

الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر
ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء
والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال
بل الله خير وابقى واجل واكرم فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما
تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه
منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال آلله خير ام الالهة قال بل امن خلق
السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من
جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش أمن بالتخفيف ووجهه ان يجعل
بدلا من الله كانه قال أمن خلق السموات والارض خير اما تشركون
فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته
في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات
الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال
مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف
رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة
الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد
الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق
وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة
كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله
أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون
او تشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج
الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها
وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا الضرورة الحالة المحوجة
الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل
والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر

الى اللجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا
حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله
يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة
على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا
فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه
فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض
وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة
الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف
وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل
في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل
عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم امن يبدأ الخلق
ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من
المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض
النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها آخر فاين دليلكم عليه فان قلت
لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت
جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها
الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا
النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه
اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على
الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله
الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله
ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في
استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت

فهلا زعمت ان الله تعالى ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون
الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى
لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة
ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه
وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه
وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى
بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا
لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان
فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادّارك
بل ادّرك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آدرك بالف بينهما بل ادرك
بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادّرك
على الاستفهام بلى ادرك بلى أأدرك ام تدارك فهذه ثنتا عشرة قراءة
وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى ادرك
علمهم انتهى وتكامل وادّارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما
ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد
حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل
هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والا
رض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو
فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت
لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم
ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف
المشركين

وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة
قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته
الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم
عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء
اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني
ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما
اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق
الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي
ادّارك علمهم وادّارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك
ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم
وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة
من قرا بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك
علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة
فان قلت فمن قرا بلى ادرك وبلى أأدرك قلت لما جا ببلى بعد قوله
وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم
في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم
بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما
من قرا بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر
علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان
العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة
ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها
بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب

التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وهو ان يكون مثل البهيمة
من عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا يتفكر في عاقبة ومن جعل الاخرة
مثل انعامهم ومثناه ولذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا العدل
جعلهم كالبهايم لا يبصرون ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل عليه انا لمخرجون
وهو نخرج لان من بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة وان ولام الابتداء
وواحدة منها كافية اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفنا الى الحياة
وتكرير الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود
عقيب جحود ودليل على كفر موكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولابائهم لان
كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت تقدم في هذه الاية على نحن وآباؤنا
وفي اية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المتقدم
هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين
دل على اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث
بذلك الصدد تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي
ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن
الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
الا ترى الى قوله ... علـ[illegible] ربهم بذنبهم وقوله مما خطاياهم اغرقوا ولا تحزن
عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا وهم قومه قريش لعلك باخع نفسك على
اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم
وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشي ضيقا
وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال
الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مثقلا ومخففا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم
استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب
يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل
يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال
فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق ٥ يعني دنونا من عمير

وهذا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل
وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده ولا مجال للشك
بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الافضال
ولعلان مواملن في غرمه فضول ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة
وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم
بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش يقال كننت الشي واكننته اذا
سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه
سمي الشي الذي يغيب ويخفى غايبة وخافية وكانت التا فيهما بمنزلتها في
العافية والعاقبة ونظايرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسما غير
صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل
للشاعر من راوية السو كانه قال وما من شي شديد الغيبوبة والخفا الا وقد
علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه
من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء
كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا
واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمومنين لمن انصف منهم وامن
اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من امن بالقرآن فان قلت
ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به
وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل
عليه قراءة بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاوه العليم بمن يقضي له
وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين امره بالتوكل وقلة المبالاة باعدا الدين وعلل التوكل بانه على الحق

على الله

الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق
بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون
تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسببا عما كان
يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه أمره وتشييع
منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم
وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات
الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم
لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم
بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق
ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل فإن قلت
ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد
عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان أبعد عن إدراكه وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت
بهادي العمي على الأصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما إن تهدي العمي
وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي وأبعده
عن الضلال بالهدى إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله منهم
أنهم يؤمنون بآياتنا أي يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون
من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله مخلصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول
وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة
جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور
وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة
هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام
وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم
خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس

ينظرون

ينظرون إليها فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أين
تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي أنها
تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم
إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون
وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول
أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن
خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم
ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب
فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك
وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون
إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج
الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده
أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في
وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فيترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى
يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا
وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة يا فلان
أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا
والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال
فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم
التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وأن يستدل
بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام
والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول
أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك

فإن قلت إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قلت قولها
حكاية لقول الله أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده
وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم
بأن فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار
وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان
بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى
يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد ابن المغيرة وشيبة
بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم
بين أيديهم إلى النار فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية قلت
الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان والواو في ولم تحيطوا للحال
كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم
بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها
ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه
قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم
مضامينه ويحيط بمعانيه أم ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك
أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها
وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد علمت أنه راعي
سوء أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته أصل كلامك وأساسه
هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا
يعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر
أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل
في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه
لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في
النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد أن العذاب

يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار
كقوله هذا يوم لا ينطقون الإبصار للنهار وهو لأهله فإن قلت ما للتقابل
لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا قلت
هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا
ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب فإن قلت لم قيل ففزع دون
فيفزع قلت لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن
لا محالة واقع على أهل السماوات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود
الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون
إلا من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
وإسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار
وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وقرئ أتوه وأتاه وداخرين
فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى
الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره
وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير
الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد
وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة
العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بأرعن
مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر
المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب
ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين
وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع
من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله
الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من
جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بما

بفعل العباد ومما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن
نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما
افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر
اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي
ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله
وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي
اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل
لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل
يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله
خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة
الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن
ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع
الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ
من رعب وهيبة وان كان المحسن ممن لحقه الفزع كما يدخل الرجل على
الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة
واحسان وتنويه دليل الى فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرأ من
فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف
العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال
والعظائم فلا يخلو منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل
عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف
النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقيل
السيئة الاشراك بالله تعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالراس والرقبة وكانه قيل
فكبوا في النار لقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم
يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية

يجوز

ما يقال لهم عند الكب باضمار القول امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده
بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين
على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما
يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا روي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة
استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك
اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن
نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل
بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم
مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد
شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته
وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل
هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في
سكانها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك
وقرئ التي حرمها وان اتلو عليهم هذا عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى
باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في
الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه
لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول
الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة
وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار
بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في
الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية
وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا

لا يجوز ان يعلى على عالم الذات وهو من وراء اجزاء العاملين فيجزي بعملون لنا وا الايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وابراهيم ... وهو ينادي لا اله الا الله ○

سوره القصص مكيه وهي ثمان وثمانون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبا موسى وفرعون مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يومنون لمن سبق في علمنا انه يومن لان التلاوه انما تنفع هاولاء دون غيرهم ان فرعون جمله مستانفه كالتفسير للجمل كان قايلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ○ ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلده يرهب الجواب لها دجنها حتى تراه عليها يبتغي الشياعا ○ او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزيه او فرقا مختلفه قد اغرى بينهم العداوه والتحضا وهم بنو اسرايل والقبط والطايفه المستضعفه بنو اسرايل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل يذهب ملكك على يده ... على ... انه حمق فرعون فانه اصدق الكاهن لم ينفع القتل الكاذب ... فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفه لشيعا او كلام ... وجه القتل مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا ... فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طايل تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن عليك وعطفه على نتلوا ويستضعف غير سديد قلت هي جمله معطوفه على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيره تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكايه حال ماضيه ويجوز ان يكون

حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت ليس يجتمع استضعافهم واراده الله المنه عليهم واذا اراد الله شيا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت لما كانت منه الله بخلاصهم من فرعون قريبه الوقوع جعلت اراده وقوعها كانها مقارنه لاستضعافهم ايمه مقتدين في الدين والدنيا يطا الناس اعقابهم وعن ابن عباس قاده يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاه الى الخير وعن قتاده ولاه كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابره وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرى ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثه من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وامنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملاها غبطه وسرورا وهو رده وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرايل مصافيه لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جيتك الا لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جا عيون فرعون فلفته في خرقه ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش

اي نور عينيه سر عيني موسى عليه السلام

او فغ القابله

من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور
فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
اوحى الله اليها ان القيه في اليم وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت
من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل
لقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق
المجاز دون الحقيقة لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا
ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه
بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء
والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه
اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار لمن
يشبه الاسد وحزنا وهما لغتان كالحزن والحزن كانوا خاطئين في كل شيء
فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا
فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف
التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا
فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر
يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما
نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهو احد ما عطفهم
عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله
فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في
حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها على سبيل الفرض والتقدير
اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت
هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم
اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله

قرت كذا في نسخة المصنف

مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر
قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء
ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل
للتبني ولا يكون ولد لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو الحال
قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء
عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون جملة اعتراضية
واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن
نظم هذا الكلام عند المرتاض من علماء محاسن النظم فارغا صفرا من العقل
والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط
الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها
ومنه بيت حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء
وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب
يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا وقرئ فرغا اي خاليا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب بحيث لا قلب لها
من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد باخره
وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء
المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله
انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا
بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكناه قلقه الذي حدث به من شدة الفرح
والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ
موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما
تهمز واو وجوه وقصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت بالكسر يقال

سيمائه كذا في نسخة المصنف

بصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب
الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة
وهم لا يشعرون بانها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان
من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله
منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك ۝
والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها قالت وهم له ناصحون
قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها
والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد
ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه
اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها
ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق
مريب ولتثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على
رضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال
حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى
فجزعت فاصبح فوادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها
الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم
ذهبت فتولين قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو
فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان
لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون
بان هذا الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن

واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال
لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون
سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم
السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكماء العلماء
وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة
منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة
وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل
اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرا
سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل
هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يسخر الاسرائيلي
لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف
وقرا ابن مسعود فلكزه موسى باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل
قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت
لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل وكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج
ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه
محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من
المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين
اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت
مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم
كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس
لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله
فلا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب

ظلمة لا يجد ردفة فالمعنى الراس حتى من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري
فابن في لموسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه
الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت
من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها
الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا
من بني اسرائيل من ترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه
ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل اخر وقرئ يبطش
بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال
هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله قيل
الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل
صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران
ويأتمران لان كل واحد منهما صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحقه من يقفاه الطريق
مدين تلقاءها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابرهيم
لم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى صلى
الله عليه وسلم لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق
الاحسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج خائفا بلا جيش
الا ورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده
عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روى ووروده
مجيئه والوصول اليه وجد عليه فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد
من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود
الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لانه على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان

من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما خطبكما ما شانكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا
كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده
وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال
والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن مسقي لها فسقى
غنمهما لاجلهما وروى ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروى
انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها
الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما وروى انه دفعهم عن الماء حتى سقا لهما وقيل كانت بيرا
اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف
والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة
متكاثفة العدد وراي الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتيهما مترقبتين
لفراغهم فما اخطات همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من
النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما
امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل
في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص سيرته وما اوتي من
البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب
ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين
والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور
في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول
الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما
لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر
الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله

قلت [illegible] لهما عن سبب الذي دفعنا لنا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر [illegible] يصلح للقيام ابلغا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة ضرورة اي [illegible] انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي بالى لانه ضمن معنى سائل وطالب فيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضي بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه القصة قال لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه [illegible] بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل [illegible] كما يعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار [illegible] الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما [illegible] امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان [illegible] فعل ذلك لوجه الله

وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والحاجة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك اجره كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل [illegible] اجر [illegible] اي جزاء سقيك و القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص من كبراه [illegible] تسمى صفرا او صغرى صفيرا وصفراها التي ذهبت به و [illegible] الى ابيها ان تستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان شعيبا احفظته الغيرة فقال [illegible] علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله [illegible] خير الناس حسبا وهل [illegible] اسير [illegible] عندهم [illegible] صدق حتى جعل لها [illegible] النفد [illegible] في السلاسل [illegible] هو احق بان [illegible] الفعل بنقط المعجمة للدلالة على انه [illegible] اعلمت [illegible] وعن ابن مسعود [illegible] صاحب يوسف [illegible] ان شعيب [illegible] انكحه صفرا وهابين لنا دليل على انه كانت له غيرهما [illegible] اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت [illegible]

الا عنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كرا الى اثبته اياه ومنه تعزيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه
رعيه ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت
ليس ذاك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان
عقدا لقال انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها
اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه
الله كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها
عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني
هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت
واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان
المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة
ويجوز ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد
ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل
هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره
لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل
قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشر حجج
فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا
احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما
اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة
قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك
فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده
المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي
غنمه ولا يفعل نحو ما يفعله المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة
الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة
من الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات

الناس

الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك
لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين
يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان
يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط المشية
الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح
ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه ذلك مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة
الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه ولا انا عما شرطت علي ولا انت
عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما
الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى
علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد
الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق
العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على
العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد
بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا
واما هذا من غير تفاوت في القضاء واما التتمة فموكولة الى راي ان شئت
اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه ولا اكون معتديا وهو في نفي العدوان
عن نفسه كقولك لا اثم [illegible] علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين
ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما
علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابي [illegible] عدوان بالكسر فان قلت
ما الفرق بين موقعي [illegible] في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة
مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال
اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له وكيل [illegible]
اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى
لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت

شعيب [illegible] عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنه ولم تزل الانبيا تتوارثونها
حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده
الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت ادم وكانت معه حتى لقي
بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صوره رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا
فاتته بها فردها سبع مرات فلم تقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها
وديعة فاتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال
القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن
ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي
منها موسى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا
بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان
فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها
فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا
ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم اخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى
والعصا شانا وقال اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا
فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات
واحده الا وضعت ادرع ودرعا فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى [illegible] ابعدهما وابطاهما وروي عن رسول الله [illegible]
انه قال [illegible] اوفاهما وتزوج صغراهما [illegible] الروايه التي [illegible] الجذوه
باللغات الثلث وقرى [illegible] الجذوه العليا كانت في راسه نار او لم تكن
قال [illegible] باتت حواطب [illegible] لها [illegible] خوار ولا دعر
وقال [illegible] والقوم [illegible] الجذوه [illegible] ابها [illegible]
الاولى والثانيه لابتدا الغايه اي اتاه النداء من شاطي الوادي من قبل الشجره
ومن الشجره بدل من شاطي بدل الاشتمال لان الشجره كانت نابتة على الشاطي كقوله
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرى البقعه بالفتح والضم والرهب

بفتحتين

وقيل [illegible] ذعرا القوم بالكسر يذعره ذعرا فهو ذاعر وذعر اي [illegible] الدخان ومنه اخذت الدعارة
وهو الفسق والخبث وحكى الغنوي [illegible] الجذوة القبسه من النار والمراد بها هنا [illegible]
[illegible] نار العداوة والفتنة بين القوم

بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله
واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه
السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف
من الشي فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا فاذا القيتها
فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها
بيضا ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى
والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده
اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد
بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا
حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما
يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه
فانفلتت منه فلتة فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ
قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر
مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب اي اذا اصابك الرهب عند
رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا
وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك
يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين
وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما
خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفا الرهب فان قلت قد جعل الجناح
وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك في قوله واضمم اليك جناحك
وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح
المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة
من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة
حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته

٦ قوله او يصل جناح كلامه بالبيان شبه الكلام الماضي بالسهم المرسل واراد السهم بالجناح فقصد الرمية فلا يلتوي عنها كذلك الكلام اذا اتبع وزيد في برهانه تمكن عند السامع واطمأن قلبه والفرق بين هذا وبين الاول ان المراد بالاول كان تقليل الكلام موسى وهو دبالبرهان على ان ما جرى والكشف والمعنى على الثاني يؤيد كلامي بالبرهان والبيان فيصدقني قومي بسببه فالمصدق على الاول هرون وعلى الثاني القوم والاول من اطلاق السبب على المسبب التقارب والثاني من الاسناد المجازي

في اللغة وهل سمع من الاثبات الذين ترتضي عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المتصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان تعلمه لبلة المناجاة الا اجبه فمبرة من موت لا كمي لها فانك ترى مشتدا ومخففا فالمخفف مثل ذاك والمشدد مثل لكن برهانان مبينان نيران فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها تقال ردانه اعانة والرد اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل وردأي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سوا فان قلت تمسك الحجة ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرأ ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم تصديقي الحض قوام اليد وبشدتها تشتد ما له

لان الصدق موسى مجزوم بالجزم لا يجوز ان يكون عطفا على افصح

ابى لكني لستم ممن الايدا لست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى لشده اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا باياتنا او نجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة لهم ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير

الا دوابذلك ابدا امر عجيب لم نسمع بمثله ولم نلتفت الى المقصد على الفهم وكلام

او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت
قد وضع الله الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما
خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف
ما وضعها الله له فقد حرّف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة
السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير
واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال
وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا
مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر
بين القول والمقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين
الاشياء وقرئ يكون بالتاء والياء روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان
العمال حتى اجتمع خمسون الف بنّاء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر
والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه احد
بنيان احد فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند
غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر
فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب
ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى
فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطخة
بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم
بصحته فقد نفى علمه باله غيره دون وجوده معناه ما لكم من اله غيري
كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه
بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه
فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده
لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون
على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله
واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا

كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كالمتيقن بل عالما
بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه
ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به
وبصفاته حيث حسب انه في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه
اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت
شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا
نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل
بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن
واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من
رجوع النشابة اليه ملطخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول
في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على
القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون
بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه
لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه
وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر
واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة
احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامره
هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط
الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام
ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت احدا بنى بالآجر غير فرعون
والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى والاستكبار
بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء
الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه

فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فأخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم
استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات
أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وأنشأنا فيها رواسي
شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن
عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته فإن قلت ما معنى قوله
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة
إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة
دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال
إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا
وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذ
لناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما
يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه
الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم
والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا
أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في ترك
المردوف إلى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود
مع الدليل الشاهد لوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى المردوف
أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر لمقطوع أمره مبتوت حكمه لما منعت
منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على
الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وتبصر هذا الوجه قوله

ويوم

هذا اعتزال وتحريف لكتاب الله

لا تنفع

المردوف هو التصميم والرادفة منع الالطاف

ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة
مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا
عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين
بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن
البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها
كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون
في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون
إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن
يراد به ترجي موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله لعله يتذكر الغربي المكان
الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور
وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان
الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه
أو على الوحي وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة
المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في
الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا
بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به
وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي
إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت
فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك
إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه
قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب
الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته
فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا
أي مقيما في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا

اي نقرأها عليهم نعلّمنا منهم من بين الايات التي فيها قصة شعيب وقومه
ولكنّا ارسلناك ولخبرناك بها وعلّمناكها اذ نادينا موسى ليلة المناجاة ونكلّمه ولكن علّمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع
اي هي رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي
خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم لولا
الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف
والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على
الفعل والباعث والمحضّض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون
اذا عوقبوا بما قدّموا من الشرك والمعاصي هلّا ارسلت الينا رسولا
محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم
انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت
العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها
دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل
ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها
جعلت كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا
وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه
الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد
عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما
فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام
كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل

عمل معبّرا عنه باجتراح الايدي وتقدمت بما الايدي وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على
الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدّق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم
المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الايات
على التعنّت واقتراحات المتعنتة والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم
وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى وعن الحسن رحمه الله
قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا
في موسى وهارون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظّاهرا على الادغام
وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر
او ارادوا نوعين من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من
قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فتنقلب
المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد
ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا
الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه السلام
فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هو اهدى منهما مما انزل
على موسى ومما انزل علي فهذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدلّ
بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر
معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان
قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله فلم يستجبه
عند ذلك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب
فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه

وأما البيت فمعناه فلم يستجيبوا دعاءه على حذف المضاف فإن قلت فالاستجابة
تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا قلت قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان بالكتاب
والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان
بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال
ومن أضل ممن لا يتبع في دينه إلا هواه بغير هدى من الله أي مطبوعا على
قلبه ممنوع الألطاف إن الله لا يهدي أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم
الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا
مخلى بينه وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن
أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح إرادة
أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في إثر بعض كقوله وما
يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني أهل
الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم وقيل نزلت في أربعين
من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية
من الشام والضمير في قبله للقرآن فإن قلت أي فرق بين الاستئنافين إنه
وإنا قلت الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به
والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا
أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرؤوا في الكتب الأول ذكره
وأبناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الإسلام
لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالتوراة و
بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب
ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالقرآن
أو بالحلم الأذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين
لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فإن قلت من خاطبوا بقولهم
ولكم أعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو
لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه

من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في
من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرب به
ألطافه حتى تدعوه إلى القبول وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون
قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب قال عند موته يا معشر
بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن
أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله
إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني
أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة
ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك
ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد
مناف قالت قريش وقيل إن القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما
نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن
لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب
في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون
وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى
إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة
البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم
للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة
الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز تجبى إليه تجلب
وتجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بإلى كقولك
يجنى إليه وتجنى إلى الخافة ثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية
الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق
بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم

جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن
من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب
رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى
اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته
بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن
النكرة المخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا
في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش
فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم
وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه
واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان
المضاف واصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين
بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ
حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر
ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره
في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن
الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها
احد او خربناها وسويناها بالارض وما كانت عادة ربك ان يهلك
القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها
التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم
لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في
الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه
وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا
بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا
الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة
والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته

ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك
ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي
مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب
الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية وما عند
الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ
يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق
الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد
الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء
احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة
وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار
ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول
الله وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد
ابن المغيرة فان قلت فسر لي الفاء وثم واخبرني عن مواقعهما قلت
قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما
ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر
يسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما
الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان
في الخير واما ثم فلتراخي حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو
بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون
الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو
كالمتصل شركاي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم تطلب
مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان
تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركاي ويجوز حذف المفعولين في

باب طلبت ولا دعى الاقتصاد على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او
ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو المبتدا والذين اغوينا صفته
والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يقولون انا
لم نغو الا باختيارنا لان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا
الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا الجاء فلا فرق اذن بين غيهم وغينا وان
كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم
الى الايمان فيما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه
الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما
اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة
منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا
يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم يهتدون مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا
يهتدون طريقا حكي اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله
الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة
اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها

ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم
عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة
العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي
اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات
لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ
فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء
لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون
الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم
فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح
فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وتحويد ان يراد ترجي التائب
وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الخيرة من التخير كالطيرة من التطير
تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من
خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء
ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة
فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد
ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين
ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول
اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف
فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان
الله اي الله بريء من اشراكهم وما تحملهم عليه من الجراة على الله واختيارهم
عليه ما لا يختار ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما
يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو

وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضا بين عباده ارايتم وقرى اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضيا وهو ضو الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعايش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضيا افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركا ايذان بانه لا شي اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شي ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبيا الامم شهدا عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينيذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت

لانصرف على ان معنى كونه من قوم موسى انه امن به وقيل كان اسرايليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرايل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شي الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر روسا بني اسرايل ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرايل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزاين وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال نا به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزاينه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء باليا ووجهه ان تفسر المفاتح بالخزاين وتعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان

فاثار من قلبه الى الاخرة ونعلم الله مفارق مافيه عن قريب لم تختبر [illegible] خروج

وما احسن ما قال القائل. انتما المغتر عن [illegible] في [illegible] صاحبه

انتقالا. وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه

افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة

ولا تنس نصيبك وهو ان ماخذ ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما

احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد

في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى صلى الله عليه

وسلم. واتبع على علم اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت

به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرايل بالتوراة وقيل هو علم الكيميا قال

يوشع ابن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون

حتى اضاف علمهما الى علمه فكان [illegible] الرصاص والنحاس فيجعلهما

ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلمه يوسع [illegible] اخته فعلمته اخته

قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل

عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته

على علم ثم قال ذلك اي هو محيطي وراي هكذا يجوز ان يكون اثباتا

لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى منه

لانه قد قراه في التوراة واخبر به وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه

قيل او لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله

وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم

عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه

وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه

مصارع الهالكين جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت

ما وجه اتصال قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قلت لما ذكر قارون

من اهلك من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى على سبيل التهديد له قال

والله تعالى مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سوالهم عنها واعلم بها

وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون

عليم وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج

على بغلة شهبا عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف

على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية غلام

وعن يساره ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا

عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين

وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغنا هو عادة البشر وعن

قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما

كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه

والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة

قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما

فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل

يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت

والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ

ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود ويلك اصله الدعا بالهلاك ثم

استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك

واصله الدعا على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا

يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلما او للثواب لانه في معنى المثوبة

او الجنة او للسيرة والطريقة الايمان والعمل الصالح الصابرون على

الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان يوذي

نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم كل وقت وهو يداريه للقرابة

التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على دينار

وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه

فجمع بني اسرايل وقال ان موسى اراد كم على كل شي وهو يريد ان ياخذ

اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة

البغي حتى ترميه بنفسها فبرّأته بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستاً من ذهب مملوءة ذهباً وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله تعالى يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطا وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء

وقيل طستاً من ذهب م

وبناشدونه بالله والرحم وموسى

ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا منّ الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم تعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فلا يجزى الا مثلها فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة

بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق م

ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح، ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم
معادًا له شأن، ومرجعًا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه
والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها
أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرًا ظافرًا وقيل نزلت عليه حين بلغ
الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل
فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى
قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين
ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده
ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم
فإن قلت قوله إلا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام
محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز
أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك
وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب قال
أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم ○ بعد
إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ
وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من
باب التهييج الذي سبق وجهه إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات ○ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر
بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد
له يوم القيامة أنه كان صادقًا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه
ترجعون ○

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت
قلت حسبت زيدًا وظننت الفرس لم يكن شيئًا حتى تقول حسبت زيدًا
عالمًا وظننت الفرس جوادًا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام
دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتًا عندك على وجه
الظن لا اليقين فلم تجد بدًا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه
من ذكر شطري الجملة مدخلًا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فإن
قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية
قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن
تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب
ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك
الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى
أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على
تقدير حاصل أو مستقر قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم
غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه
لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت
مخافة الشر وضربته تأديبًا تعليلين وتقول أيضًا حسبت خروجه لمخافة
الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ
وخبرًا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة
الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر
والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم
وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على
ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل
يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة
عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين
من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال تعالى لتبلون
في أموالكم وأنفسكم الآية وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول
الله قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في

في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة أسلموا فكتب إليهم المهاجرون
لا يقبل إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما
نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من
قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى
إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا موصول
بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه
يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم
أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قاتل معه الآية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار
على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان
الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه فإن قلت
كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه
موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب
ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا
وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام
أي ليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة تعرفون بها
من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها أن يسبقونا أن
يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا
به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم
على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم
بمعجزين في الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون فإن
قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه
سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن

الربيون كثير فما وهنوا

حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان
أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن
أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا
أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك
الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر
وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان
من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن
أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق
رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع
العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق
بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال
إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فإن قلت فإن أجل الله لآت كيف
وقع جوابا للشرط قلت إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال
الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت
فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه
اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم
أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به
وحملها على ما تأباه فإنما يجاهد لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما
أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم إما أن يريد
قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة
بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات
ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وإما قوما
مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله تعالى يكفر سيئاتهم بأن يسقط

عقاب الله بما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ونجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام
ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول
امرته بان يفعل الخير ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف
والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم
بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو
معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء
والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله
وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب
قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما
او افعل بهما لان التوصية دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا
اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير
ان وقف على بوالديه وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول
لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان لتشرك
بي ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك
بي شيئا لا يصح ان يكون الها فلا تطعهما فيستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان
اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا اراداه على ما ذكر على ان كل حق
وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم
قال الي مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم وفيه شيئان احدهما انه
الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما
برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما
بعثهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد
روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة
بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله
لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد
وكان

وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي
في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها
بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر
مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث
ابن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني تميم من حنظلة فنزلا بعياش
وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك
لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا
وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي
ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ
عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع
فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم
فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة
وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت
في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء
الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وقال في ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة
وهذا نحو قوله ومن يطع الله ورسوله فاولئك الاية هم ناس يؤمنون
بالسنتهم واذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك
صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين وغنمهم اعترضوهم
وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فما قدر احد
ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور
العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء
من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد
المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام امرهم باتباع سبيلهم وهو طريقتهم التي

كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر
وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن
منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الإثم وترى
في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه
على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا وإثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا
الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما حكي أن أبا جعفر المنصور رفع إليه
بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى
قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك
وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في المأمن فإن قلت لم سماهم كاذبين
وإنما ضمنوا شيئا علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره
على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لأنه في الحالين
لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت
شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان
ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم
لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك
وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية
الخلف وليحملن أثقالهم أي أثقال أنفسهم وأثقالا يعني أثقالا أخر غير
الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في
ضلالهم وليسألن سؤال تقريع عما كانوا يفترون أي يختلقون من الأ
كاذيب والأباطيل وبرئ من خطاياهم كان عمر نوح عليه السلام
ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة
وخمسين فإن قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما أورده
الله أحكم لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره
وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة

وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى
وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده
من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان
ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطا
لة السامع مدة صبره فإن قلت لم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام
قلت لأن تكرير اللفظ الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع
ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك
والطوفان ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام أو نحوهما قال
العجاج وغم طوفان الظلام الأثأبا أصحاب السفينة كانوا ثمانية
وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله
وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها للسفينة أو للحادثة والقصة
نصب إبراهيم بإضمار اذكر وأبدل عنه إذ بدل الاشتمال لأن الأحيان
تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا وإذ ظرف لأرسلنا يعني
أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم
ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو
حنيفة وإبراهيم بالرفع معنى ومن المرسلين إبراهيم إن كنتم تعلمون يعني
إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم بعين الدراية
المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلقون من خلّق بمعنى
بمعنى تكذب وتخرصون وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو
كذب ولعب والإفك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما
وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا ذا إفك وباطل واختلاقهم الإفك
تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء إليه أو سمى الأصنام
إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك فإن قلت لم نكر الرزق ثم عرفه

قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ
بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوا
فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل فقد تم
امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات
الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة
وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب
وهذه الاية والايات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة
ان تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون
ايات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان
قريش بين اول قصة ابراهيم واخرها فان قلت اذا كانت من قول
ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم
وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة ولقد عاش الف سنة في قومه
الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على سنيه واعقابهم
على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض
قلت هي حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما
يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القران
فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي
قصة ابراهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما
وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله
قلت ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل الله كان
ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض
بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد

كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم
لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات
الواطية عقبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلايله وهدم
الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانها
قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدا وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ
وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد
الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة
على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه
فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف
على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما رجع اليه هو في قوله
وهو اهون عليه من معنى يعيد ذكر على تقول له النشاة الاخرة على انهما
نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم
الى الوجود ولا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى
ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرافة والرآفة فان قلت
ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة
بعد اضماره في قوله كيف بدا وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق
ثم ينشئ النشاة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة
وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج
عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء
هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه
قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الاخرة
فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من
يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين
في مواضع من القران وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا

ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم
اى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء
التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كقال
حسان. امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء. ويحتمل
ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في
البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة
او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم
ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء بآيات الله بدلائله على وحدانيته
وكتبه ومعجزاته والبعث يئسوا من رحمتي وعيدي اى ييأسون يوم
القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم
لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء
ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من
الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من
رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي
للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن من عذابه وعقابه
صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه بالنصب
والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون
راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم
بالنار يعني يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها [illegible] النصب
نعتا لما فيه وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اى لتتوادوا بينكم
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم
كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم
وان يكون مفعولا ثانيا لقوله واتخذ الهه هواه اى اتخذتم الاوثان
سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم

مودودة

بمعنى مودودة بينكم لقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون
خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة
وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم
بفتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم
في الحياة الدنيا اى انما تتوادون عليها او تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم
القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة
ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط
ابن اخت ابراهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني
ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين
ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط
وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني
بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني
الا بما هو مصلحتي اجره الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية
الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال
اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه
في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره
وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب
حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور
والانجيل والقرآن ولوطا معطوف على ابراهيم او على ما عطف عليه والفاحشة
الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة
مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل
لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها
حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم يذكر على
ذكر قبل قوم لوط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني

قال ابو عبيد وحققته في الامام بحرف واحد بغير يا ورايت الثاني بحرفين اليا والنون
وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل تعرضون
للسابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن
ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك
بين الناس وحل الازرار والسباب في المزاح وعن عايشة انهم كانوا يتضارطون
وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكانت
معصيتهم فاظهارها ابح من سترها ولذلك جا من خرق جلباب الحيا فلا غيبة له
ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان
كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون في الناس
بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم
ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم الاية فاراد لوط عليه السلام ان يشتد
غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعايه بالبشرى هي
البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة
لفظية لانه بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من
قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم
قال ان فيها لوطا اعتراضا عليهم بكونه فيها واما هو جدال في شانه لانهم لما
عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من لم يظلم واراد بالجدال
اظهار الشفقة عليه وما يجب للمومن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته
وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى
المومن الا يحوط المومن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها
يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الا
تتناول البشر وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك
الخطب وقرى لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة

اعرف وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل
بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان قيل كما احس بمجيئهم
فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق
بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق
الذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان
مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير
الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرجز والرجس العذاب
من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب
وقرى منزلين مخففا ومشددا منها من القرية اية بينة هي اثار منازلهم
الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر
عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او بينة وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة
فيه فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجا والمراد اشتراط ما يسوغه
من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو
من الرجا بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة عن الكلبي صيحة جبريل
لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم
فاكتفي بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه
لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة
يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلا متمكنين
من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا مستبصرين ان العذاب
نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى
هلكوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم
لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين
وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون تشبيه ما

متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن
وضعف القوة وهو نسج العنكبوت فإن قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون
وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون أن هذا
مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه إذا صح
تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت
العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام
بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين
عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد
الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتاً بالإضافة
إلى رجل يبني بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا
استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها
ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون قرئ يدعون بالتاء والياء وهذا
توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً وهو العزيز
الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح
العلم والقدرة أصلاً وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي
لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد
يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما
يعقلها إلا العالمون أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم لأن الأمثال
والتشبيهات إنما هي طرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف
عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه أي بالغرض الصحيح الذي
هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله
تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين

لغيره والصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها فإن قلت كم
من مصل من يرتكب ولا تنهاه صلاته قلت الصلاة التي هي عند الله المستحق
بها الثواب أن يدخل فيها مقدماً للتوبة النصوح متقياً لقوله تعالى إنما يتقبل
الله من المتقين ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي
على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي
بين الرجاء والخوف ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي
تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تأمره صلاته بالمعروف
وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمه الله
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه
وقيل من كان مراعياً للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً ما فقد
روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه
الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه
فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء
والمنكر ممن لا يراعيها وأيضاً فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء
والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول
إن زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد
أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله
أكبر يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال
فاسعوا إلى ذكر الله وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال
وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله أكبر عند الفحشاء والمنكر
وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر وكان أولى بأن ينهى من اللطف
الذي في الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم
إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب
بالتي هي أحسن بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم

والسورة بالآية كما قال ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في
الاعتداء والعناد فلم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة
وقيل إلا الذين آذوا رسول الله وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك
وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين الجزية
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي
أنزل إلينا من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم
ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب
السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل وكما
أنزلنا الكتب إلى من كان من قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل مكة وقيل أراد بالذين
أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل
الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال
الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن
الأشرف وأصحابه وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذن
لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب
مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم سماهم
مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صا
دقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو
كتبه فإنه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لأنهم كفروا به
وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم لو لم يكن
أميا

اي النبي الذي وعدوه في كتبنا نجده

أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء
آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا
به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب
فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزلين
ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي
ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير
لما نفي عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير
يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي
بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص
القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه أكثر
الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا
من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم وما يجحد
بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا لولا أنزل عليه آية وآيات
أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك قل إنما
الآيات عند الله ينزل أيتها شاء لا ما تقترحونه لو فعل وإنما أنا نذير
كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله
آياته فأقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي أن الغرض من
الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال أولم
يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين
هذا القرآن هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها
وتكون في مكان دون مكان إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان
وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم
يؤمنون وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم

اي دفاترهم

ولو شاء

إن في ذلك

بتحقيق ما في ايديهم من تعنتك وتعنت خرتك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود
فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة ان يرغبوا
عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم
قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع
على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل منكم وهو ما يعبد
من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف
كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء ٥ روى ان كعب بن
الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت كان استعجال
العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال
اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا
كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم ٥
واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد
بالاجل الاخرة لما روى ان الله عز وجل وعد رسوله صلى الله عليه وسلم
ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل
يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم
العذاب او هي محيطة بهم لان اسبابها معهم فكانها الساعة
محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب
كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون جزاءه ٥
معنى الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر
دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر
عباده

170

عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت
الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس
وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة
واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة
من سكنى حرم الله وجوار بيت الله تعالى فلله الحمد على ما سهل من ذلك
وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم
ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم كاياه
ضربته في الغائب واياك عنيتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا
فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت
الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه
تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص لما امر
عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق
البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجد مرارته
وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء
ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده ٥
لنبوئنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة
يقال ثوى في المنزل واثوى هو غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى
بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه
في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم
ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم
وقرأ ابن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان

والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات
وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل منهم يقول كيف اقدم
بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض
عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها
واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا الا الاقوياء
الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر
لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تدخره
انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شي يخبا الا الانسان والنملة
والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي
الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في
ضمايركم الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يوفكون فكيف يصرفون
عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض
يقدر الرزق ويقدره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع اليه الضمير في
قوله ويقدر له هو من يشا فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد
قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشا فوضع الضمير موضع
من يشا لان من يشا مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب
الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شي عليم يعلم ما يصلح العباد
وما يفسدهم استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الله بمن اقر بحو ما اقروا
به ثم نفعهم ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركا عنه ولم يكن اقرارا
عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث
نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ولا يعقلون
ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه
فيها ازدرا للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة
يريد

يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة
ثم يتفرقون وان الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حياة مستمرة دايمة
خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان
فقلبت اليا الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة
حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي الحيوان زيادة معنى
ليس في بنا الحيوة وهي ما في بنا فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان
والنغصان واللهبان وما اشبه ذلك والحياة حركة ولذلك اختيرت
على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يوثروا الحيوة
الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف
دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به
من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كاينين
في صورة من يخلص الدين لله من المومنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر
وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي
وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى
شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين
التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المومنين المخلصين
على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجايهم ويجعلوا
نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون
لام الامر وقراة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى
اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله
بالكفر وان يعمل العصاة ما شاوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه
قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية
ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا
وانه يودي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم

ترمنه الا الاباو التصميم جرّدت عليه فقلت انت وشانك وافعل ما شئت
فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر للشيء مريد له وانت شديد
الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت من النصيحة
فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت
صحة راي الناصح وفساد رايك كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم
بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون
ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة
الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه
النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله
وحده مكفورة عندهم افتراؤهم على الله كذبا بزعمهم ان لله شريكا
وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله
لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم
يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر
فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه
او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا
قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى
التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا
التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا
مثل هذه الجراة اطلق المجاهدة ولم تقيدها بمفعول ليتناول كل ما
يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا
في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية
الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي
سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن
بعضهم

وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا
بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لنا صرهم ومعينهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العنكبوت كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون

وقيل تسع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض
يعني ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى
غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم
على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال
مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس
الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر
عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت
فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى المسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح
المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس
اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس
بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا
اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل
واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله فقال
البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع
سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من

دعوته الى وجابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صدقه وهذه الآية من
الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانه انبأ
عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب
والغلب مصدران كالجلب والجلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون
بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع
سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة
غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول
وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف
الله وعده فان قلت لم صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن
قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد
رحمهما الله تعالى ان العقود الفاسدة من عقود الربوا وغيرها
جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك
بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف من قبل ومن بعد
اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين
اخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ
من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل
قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما
وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو
اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله
انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا
وفل هذا وهذا من شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة الاسلام وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز

الرحيم

الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك
لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك
وعدا لان ما سبقه في معنى وعد وصفهم الله عز وجل بانهم عقلاء في
امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب
وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم
اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا
الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده
ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم
الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا
ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم
بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة
والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا
من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره
والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى
واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا
كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة
من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون
صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق
بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل
معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما
خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة
وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد
لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب

الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم
غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت
عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو
ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي
ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر
فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من
غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على
التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه
الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى
يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير
وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى
اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين
من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم
وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول
تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض
وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر
مما عمروها اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة
ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم
في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة
وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود
وامثالهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره
اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث
عملوا ما اوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالرفع والنصب والسوأى تأنيث

الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا
بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة
التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين ان كذبوا
بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة
التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه
ذلك ووجه اخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي
اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف جوابا لما
ولو ارادة الابهام ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء
الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس
من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من
ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا
بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او كانوا في الدنيا
كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب
علموا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق
المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين
وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير
لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم
احسن من بيضة في روضة يريدون بيض النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا
سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتماله
جميع وجوه المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان
يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي
فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار

من كل بيضا آخر صابته يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل
نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدردا بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في
الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من
تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل
الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل
الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من
السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة
وقيل الصلاة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم
وتلا هذه الاية تمسون صلاتا المغرب والعشا وتصبحون صلاة الفجر وعشيا
صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون
وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم
من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه
الله الى ان الاية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس
بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين وعن عايشة رضي الله عنها فرضت
الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت
صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سره ان يكتال بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن
قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراة عكرمة حينا تمسون وحينا
تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا بمعنى فيه الحي من الميت الطاير من البيضة والميت من الحي
البيضة من الطاير واحيا الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابدا والاعادة

متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي
واخراج الحي من الميت واحيا الميت وامانة الحي وقري الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التا خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم
وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونسا من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع ادم والنسا بعدها خلقت
من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين
الاثنين من جنس واحد وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون
وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التوادد والتراحم بعصمة
الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال
ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا ويقال سكن اليه اذا مال اليه
كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه
فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل
الشيطان الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا
بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة
ولا حدة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات
النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف
ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا
لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان
في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة
بين الحلى وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ
وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله هذا من باب اللف وترتيبه
ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين
القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع
فيه كشي واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم

في الزمانين وانتفاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن
واشد للمعاني بما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية • في يريكم
وجهان اضمار أن وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع
بالمعيدي خير من أن تراه وقول القائل • وقالوا ما تشاء فقلت ألهو
إلى الإصباح آثر ذي أثير • خوفا من الصاعقة أو من الإخلاف وطمعا في
الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول
له فإن قلت من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل
والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن المفعولين
فاعلون في المعنى لأنهم راؤون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا
وطمعا والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وإرادة
طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين
أي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته قيام السموات
والأرض واستمساكهما بغير عمد بأمره أي بقوله كونا قائمتين والمراد
بإقامته لهما وإرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله
إذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى
كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور
إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد به سرعة وجود
ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل
دعوت كليبا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود أو هو أسرع • يريد بابن
الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض
بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول
يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال
ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان
كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت
زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي فإن قلت

بم تعلق من الأرض أبالفعل أم بالمصدر قلت هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
فإن قلت ما الفرق بين إذا وإذا قلت الأولى للشرط والثانية للمفاجأة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها
قانتون منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو أهون عليه
فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم
صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع
إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون
الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى
مرن عليها وهانت عليه فإن قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون
عليه والمراد به الإعادة قلت معناه وأن يعيده أهون عليه فإن قلت
لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين
قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وإن كان
مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما هاهنا فلا معنى للاختصاص
كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء
فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فإن قلت ما بال الإعادة استعظمت
في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض
بأمره ثم هونت بعد ذلك قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها
هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث
أهون على الخلق من الإنشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون
عليه وأقل تعبا وكبدا من أن يتنقل في أحوال ويتدرج فيها إلى أن
يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء
من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وبين أن لا يفعله والإعادة
من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب
والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور وإما ما يصرف الحكيم
عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود

كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله
وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به وكان الواجب
ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل
الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعد من الامتناع
كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها
كانت اهون من الانشا وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره
مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق
والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شي من انشا واعادة
وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر
لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه
وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى
الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم
وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه
قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير من ما ملكت ايمانكم
من شركا قلت الاولى للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شي منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون
لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم
بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء
من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان
تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا
بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد
ان تجعلوا بعض عبيده له شركا كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات
اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة
التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة

الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواهم
جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل
فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شي من اضل الله من خذله الله ولم يلطف
به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم
من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم
وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على
الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي
عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا
حال من المامور او من الدين فطرة الله اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة
الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال
من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على
هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه
خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له
لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه
دينا اخر ومن غوى منهم فباغوا شياطين الانس والجن وقوله عليه السلم
كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان
يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما
اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة
او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول لامته مع ما فيه من التعظيم
للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين
فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا
مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها
الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله
حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا عما قبله ومعناه من المفارقين

دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه زائغ فرحون على الوصف لكل
كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه ۞ الضر الشدة من هزال او مرض
او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز
مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون
وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز
كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة
والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا
مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويحتمل ان تكون موصولة ويرجع
الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل
ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك
يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقناهم رحمة اي
نعمة من مطر او صحة او سعة فرحوا بها وان تصبهم سيئة يشركون
واي اذقناهم رحمة من بلاء اي جدب او ضيق او مرض والسبب فيه شؤم
معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا بانهم قد
علموا الله القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون
اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته
حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة
المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة
الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم
فان قلت لم تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت
لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان
يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجه الله
ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله
تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى

هذا على تقدير ان يراد بوجه جهته

لا لجهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الآية في معنى
قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم
اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند
الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكاة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا
لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف
من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ
بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب
الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست
تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا
ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او تجر منفعة والذي ليس
بحرام ان يستدعي بهبته او يهدي به اكثر منها وفي الحديث المستغزر
يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى ما غشيتموه او رهقتموه من
اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات
اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال
لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم
هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى
المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون
به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره
فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا اسهل مأخذا والاول املأ بالفائدة الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم
اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد
غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا لله من الاصنام
وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم
استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا

لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحد منهن مستقلة
بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو الجدب
والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان
في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة
ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار
وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه
التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار بالبحار وقرئ في
البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم
منها كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن
ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى
كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم
ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت
ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على
التفسير الاول فظاهر وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم
ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها
في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على
معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله
وبال بعض اعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما افسدوا وتسببوا
لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون
ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم ان يسيروا
فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم
ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب
تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الا
ستقامة

الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله تعالى اما ان يتعلق بيأتي فيكون
المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون
ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته
والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كلمة جامعة لما لا غاية بعده
من المضار لان من كان ضارة كفره فقد احاطت به كل مضرة
فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي
يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص
عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان
يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود
الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن
لا تتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم
بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب
فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول
والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله
انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب
والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله
عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في
ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر
وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض
وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في
البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية

ولان من ارسالها السفن وللاحتمال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا
من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم
من فضله قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها
اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد
اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع
من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه
وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيامة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فيبسطه تارة ويجعله كسفا اي
قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت
السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم
من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد واستحكم
باسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ
اثر واثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك
يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
وهو على كل شيء من المقدورات دليل الانشاء قراءة من قرا اثر رحمة الله لان
رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى
اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به
ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب
القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن
ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم
على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا

وابتهجوا

وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم
في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله
وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح
والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات
يجوز ان تكون حرورا وحرجفا وكلاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما
وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوه السحاب مصفرا لانه اذا كان
كذلك لم يمطر قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى لما روي
عن ابن عمر انه قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني
من ضعف وقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم
وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا
وذلك حال الطفولية والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك
حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف
بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد
في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة ومن صفة الى صفة اظهر دليل
واعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت بذلك
لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة وبديهة كما تقول
في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث اربعون
وفي الحديث قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت
يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم
له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون عن الصدق
والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك
الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الان انه ما كان الا
ساعة القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح
او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا

على ما اطلعوهم على الحقيقة ثم قالوا لهم ذلك يبعثهم على انكار البعث
بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق
واتباعه فان قلت ما هذه الفا وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد
جينا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم
ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جينا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم
منكرين للبعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث
بالتحريك لا ينفع قرى بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه
الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب
والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم
يستعتبون فان قلت كيف جعلوا مستعتبين في بعض الايات وغير مستعتبين
في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم
غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين
بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين
منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين
الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما
يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم
ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جيتهم باية من
ايات القران قالوا جيتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله
على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور
حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع
الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية
عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو
وتصدا

قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله
في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على
الدين كله حق لا بد من انجازه والوفا به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا
مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك
وقرى بتخفيف النون وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا
يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المومنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل ملك سبح الله بين السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون اية وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الحكيم ذي الحكمة او
وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل
الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه
مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب
على الحال عن الايات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع
على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات
وهي التي ذكرها من اقامة الصلاة وايتا الزكاة والايقان بالاخرة
ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا
حكي عن الاصمعي انه سيل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون
جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القايمين بهذه الثلث لفضل
اعتدادها لهو الحديث نحو
السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات
والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغنا
وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر
الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان
محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم وبهرام
باحاديث م

والاكاسرة وملوك الحيرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القران وقيل
كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته
فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة
والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل
بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل
يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي
يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت
ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى
من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى
من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين
بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد
ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة
بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو
اللهو منه وقوله يشتري اما من الشري على ما روي عن النضر من شري
كتب الاعاجم او من شري القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان
اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث
الباطل على حديث الحق ليضل بضم الياء وفتحها سبيل الله دين الاسلام او القران
فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد
الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة
بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه
ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة
في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من
قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت
ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقران

قال

والقيام خ

الساج ضرب من الشجر

قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال
بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل
الله من امن به وتبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبا بها ولا يرفع راسا
بها تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه
وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين
المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها
ويجوز ان يكونا استينافين والاصل في كان المخففة كانه والضمير
ضمير الشان وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما
حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الثبات اكد معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه
يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبوس من شاء وهو الحكيم
لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه للسموات وهو
استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد ترونها كما تقول
لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت
لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني
انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا اشارة الى
ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه الهتهم بكتهم
بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني ما خلقته الهتكم
حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال هو لقمان بن باعورا ابن اخت
ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد ازر وعاش الف سنة وادرك
داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث

اي وما كانوا مهتدين

مؤكدان

الورطة الهلاك واصلها ارض مطمئنة لا طريق فيها وورطه توريطا اوقعه في الورطة

وقطع اليقطين فقيل له فما لك الا الكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل
واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن نبيا
ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص
امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل
خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب انه كان اسود من
سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق
القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه
كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين
فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي
ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال
بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي
انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد
كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال
نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود
بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب
مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج
اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب
ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود
لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان
ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة
الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر
ايتاء الحكمة بالحث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان
يحمد وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته
كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي
منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه
حملته

تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في
موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف
لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير
لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد
الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا
حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع
سبيل من اناب الى يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه
وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك
جزاءك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا
وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه
وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما
في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها
مكثت ثلاثا لا تطعم حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون
نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع
في اثناء وصية لقمان من النهي عن الشرك قلت هو كلام اعترض به
على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك
فان قلت حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به
بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه
من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا
للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم
قال بعد ذلك اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه
بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازى
والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى

في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين
موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه ويدل
عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على ان مدة الرضاع
سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها وهو مذهب ابي يوسف
ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته
قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا
ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني مثقال
حبة بالرفع والنصب فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان
اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها
في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي
يات بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه
الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها
ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة
كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال له
ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم
اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة
هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف
فتكن من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا واصبر
على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا
بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم
على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي
لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب
ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات

ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت
كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه
وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور
اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل
اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر وقولك صدق القتال
وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها
في سائر الامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر
خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد
داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا
ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح
مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل
المرح والاشر اي لا تكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من
الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال يقابل الماشي مرحا
وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى
يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المومن واما قول
عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت
السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة
اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به
ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس
واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك
نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون

ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشيا المستقذره
وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي
المروه ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجله
فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلا الكلام
من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعاره وان جعلوا حميرا وصوتهم
نهاقا مبالغة شديده في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت
والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد
صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد
هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت
وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما في السموات
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار
والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرى بالسين والصاد وهكذا كل
سين اجتمع معه الغين والخا والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي
سالغ صالغ وقرى نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمه قلت
كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان
واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده
ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكلما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة
فان قلت لم كان خلق العالم نعمة مقصودا به الاحسان قلت
لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون
لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون
لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى قوله الظاهره
والباطنه قلت الظاهره كلما يعلم بالمشاهده والباطنه ما لا يعلم الا
بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي
الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهره ظهور الاسلام والنصره
على الاعدا والباطنه الامداد بالملايكه وعن الحسن الظاهره الاسلام

واما نقل انه عليه ركب الحمار على خلاف عادتهم واظهار التواضع من نفسه صلى الله عليه وسلم

ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا

والباطنه الستر وعن الضحاك الظاهره حسن الصوره وامتداد القامه وتسويه
الاعضا والباطنه المعرفه وقيل الظاهره البصر والسمع واللسان وسائر
الجوارح الظاهره والباطنه القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى
في دعا موسى عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى
نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ
بالانفاس معناه اتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعا
الشيطان اياهم الى العذاب وعن علي ابن ابي طالب عليه السلام ومن
يسلم بالتشديد يقال اسلم امره وسلم امره الى الله تعالى فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت
معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له
ومعناه مع الى انه سلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد
التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروه الوثقى من باب التمثيل
مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان
استمسك باوثق عروه من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبه الامور
اي صايره اليه قرى يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال
المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام
فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم
ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم
نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار
المضطر الى الشي الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام
الغليظه والمراد الشده والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد
والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد
وان لم يحمدوه قرى والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على

رضي الله عنه

اليه

هي

محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا
بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير
ويجوز أن يحمل هذا على الوجه الأول وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء
فإن قلت كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد قلت
أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها جعل
البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا
أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة
أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته
ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فإن قلت زعمت أن قوله
والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال
قلت هو كقوله وقد أغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف
وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون
المعنى وبحرها والضمير للأرض فإن قلت لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيها
شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بريت أقلاما فإن قلت
الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله
قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن
عباس رضي الله عنه أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة
وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعني الوحي كلام
سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية فإنما
نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل إليك أنا قد أوتينا التوراة
وفيها علم كل شيء إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته

شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمته إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في
قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا تتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت
النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل
عن فعل وقد تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر
كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض
فكذلك الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه
ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر
وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا
بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في
فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم
قدرته وحكمته فإن قلت يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من
تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن
ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض
لأن قولك يجري إلى أجل معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل تريد
يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى
أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين
غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز
عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله إنما هو بسبب
أن الله هو الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية هذه الآيات بسبب
بيان أن الله هو الحق وأن إلها غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به
قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل
على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها
الكسر والفتح والسكون بنعمة الله بإحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور
لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن يرتفع
الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب

او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط
في الظلم والكفر خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في
الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند
الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد
عليه الله في البحر والختار اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من
غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من
غدر وختر لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث
في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني
يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف الغرور الشيطان
وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة
بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على المغفرة وقيل ذكرك
لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا
وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور
فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية
آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه
على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين
الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباهم
في الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق
الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي
ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع
على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك روي ان رجلا من
محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض
وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها

والظلم – الله – عنهم

اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته
فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب
اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن
المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كان خيالا اخرج
يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فتاولوها بخمس
سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رضي الله عنه تاويلها
ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك
اليه عنده علم الساعة اي زمن قيامها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم
ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام
ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة
ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت
شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت
بارض وضربت وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت
في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها روي ان ملك
الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني
وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت
كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو
عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة
والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها
ولا اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما
كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي
بتانيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف
من الحسنات

في ذلك – اوتادها – لسليمن – شيء – ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم السورة خبر تنزيل الكتاب
وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو
مبتدا خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتدا وخبره من رب العالمين ولا ريب
فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب
في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله تعالى
ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين
وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب
صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك لا ريب فيه ثم
اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره
في عجز بلغائهم عن مثل ثلث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات
انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم المسئلة بعلة صحيحة جامعة
قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال
الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه
فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتخليص انه احترز من ذلك ثم يعود
الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله
وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب
فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه
لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شي من الريب واما
قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز
له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم
من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث اليهم
رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت فاذا لم ياتهم نذير
لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك

علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم
لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون
فيه وجهان احدهما ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون والثاني
ان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت ما معنى قوله ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم
رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا
يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم
اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله
فما لكم من الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
الامر المامور به من الطاعات الصالحة ينزله مدبرا من السماء
الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما
يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده
وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه
قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء
الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة مما تعدون ثم يعرج
اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت
من اوقات هذه ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان
تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة
وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع
اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو
في الحقيقة الف سنة لان المسافة الف سنة في الهبوط والصعود
لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة
جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر
الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله

اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة
وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البنا للمفعول وقرئ يعدون بالتا الذي
احسن كل شي خلقه حسنه لانه ما من شي خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى
حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته
اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل
اي احسن خلق كل شي وخلقه على الوصف اي كل شي خلقه فقد
احسنه ۞ سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج
من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل ثم سواه قومه كقوله
في احسن تقويم ونفخ فيه من روحه اضافه الى ذاته على انه خلق عجيب لانه
لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك عن الروح الاية كانه قال
ونفخ فيه بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ايذا وانا على الاستفهام
وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز
منه كما يضل الما في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله
وآب مضلوه بعين جلية ۞ وقرا علي وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا
بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن صللنا من صل اللحم
اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب
الظرف في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو
نبعث او يجدد خلقنا بلقا ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي
ملك الموت وما وراه فلما ذكر كفرهم بالانشا اضرب عنه الى ما هو
ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشا
وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم
بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزا وهذا معنى لقا الله عز وجل على ما
ذكرنا والتوفي استيفا النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى

الانفس

الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها
شي من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا
من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقصيته
واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت
له مثل الطست يتناول منها حيث يشا وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان
من الملايكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه
بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه وجهان اي يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام
للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان
الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم
فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي
والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت
امرا فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز ان يكون خطابا لكل احد
كما تقول فلان ليئم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اسا اليك فلا
تريد به مخاطبا بعينه وكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ
كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع
به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو يكون منك الروية
واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا لاتينا كل نفس هداها
على طريق الالجا والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار
فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة
فيه وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر
يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم
نسيانها ثم قال انا نسيناكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة

فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان وابسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا بها وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى تتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جا مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك رضي الله عنه كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي لهم من قرة اعين ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله سبحانه وتعالى وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع من الثواب ادخر الله لاوليك واخفاه من جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم المطامع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت

لعبادي

190

لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤوا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت كان مومنا وكان فاسقا محمولا على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات الماوي نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة الماوي على التوحيد نزلا باعمالهم والنزل عطا النازل ثم صار عاما فما واهم النار اي ملجاهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ماواهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوى للمومنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر ولعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراة من قرا يرجعون على البنا للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة وان اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وحصول الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها مضطرون اليها بقسره والجايه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره

كما لا تبرح ذلك في ادراك اذ ذلك ان لحنا رغيبك لما عنك وهو لاختيارها
لا باختياره لا يتعلق بغير ذلك واذا لم يتعلق بغيره لا على عجزك دروى
في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة ابن ابي
معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا
واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا
واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت عامة
للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل من [illegible] الحسن بن علي
عليهما السلام انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مومنا في عشر
ايات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض
عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سوا السبيل والفوز
بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول
لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز
ومنه في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم
يزورها استبعد ان يزور الموت بعد ان راها واستيقنها فاطلع على
شدتها فان قلت [illegible] قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل
ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم
النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة
الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من
الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله
ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على
موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ايمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة
من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالاية فكذلك لنجعلن الكتاب المنزل
اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ايمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا
عليه

علي من نصر الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسرا او يوم
القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضى والقبول وقرئ لما صبروا وبما صبروا
اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني اسرائيل
[illegible] ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي بينهم فيميز المحق في دينه من
[illegible] الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم
لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا يقع فاعله لا يقال
جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه
ومحصوله كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة
القراءة بالنون [illegible] وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون في
متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد الجرز الارض التي
جرز نباتها اي قطع اما لعدم الما واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت
كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض اليمن وعن مجاهد هي
[illegible] تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ ياكل بالياء الفتح
النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون [illegible]
ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا
متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح
يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المومنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل
هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت قد سالوا عن وقت
الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سوالهم قلت كان غرضهم في السوال
عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما
عرف من غرضهم في سوالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم وقد
حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب
فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره
ان لا ينفعهم الايمان [illegible] الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد
ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق
وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا
انا معكم متربصون وقرئ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم
فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة
في السما منتظرونه ۝ تمت تفسير سورة الاحزاب [illegible]

آب لسان الثور
بالتدریج صوغوده
آب بادرنجبویه
بالتدریج اغلاوی